مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 25 عدد: 3 السنة: 2021

أسس المنهج التربوي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي

Foundations of the educational curriculum for Imam Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi

حمزة عايد[1]
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر
hamzaaid1604@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/04/10 القبول 2020/12/28 النشر علي الخط 2021/03/15
Received 10/04/2020 Accepted 28/12/2020 Published online 15/03/2021

ملخص:

يؤسس الشيخ البشير الإبراهيمي لمنهج تربوي يربط الفرد الجزائري بمقومات شخصيته الوطنية، من خلال تحديده لمفهومي التربية والتعليم، معتبرا إياهما المنطلق الأساس في المحافظة على الهوية الوطنية، وتحقيق الاستقلال. معتمدا على عدة أسس كالتوعية والتنوير، موظفا أساليب ووسائل تتناسب وخصوصية الواقع والظرف كالمدارس والمساجد، وقد تضمن منهجه التربوي فضحا للتعليم الفرنسي المؤدلج، وانتقادا للطرائق القديمة في التعليم العربي، هادفا إلى تحقيق العديد من الغايات أهمها تحرير الجزائر أرضا وشعبا، عقلا و روحا.

الكلمات المفتاحية: التربية، التعليم، أسس، المنهج، الشخصية الوطنية.

Abstract:

Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi establishes an educational curriculum that connects the Algerian individual with the elements of the national personality, by defining the concepts of education, considering them both the basic premise in preserving the national identity and achieving independence. Depending on several raising such as awareness and enlightenment, employing methods and means that are appropriate and specific to reality and circumstance, such as schools and mosques, His educational method included exposing the ideological French education, and criticizing the old methods in Arab education, aiming to achieve many goals, the most important of which is the liberation of Algeria, land and people, mind and spirit.

Keywords: Education; raising; foundations; Curriculum; National character

[1]– المؤلف المرسل: حمزة عايد البريد الإلكتروني: hamzaaid1604@gmail.com

1. مقدمة:

تعدّ التربية منطلقا وقاعدة أساسية لمسار أي مجتمع في حركة التاريخ وبناء الحضارة وهو ما تشهده الأمم المتحضرة، وبذلك برزت القيمة الكبيرة للمتغير التربوي في أي مشروع ثقافي وحضاري قديما وحديثا، بل ووظف العامل التربوي والتعليمي لتكريس بعض الأيدلوجيات والقضاء على ثقافات أخرى، هذا ما انعكس في تركيز السياسة الإستعمارية على المتغير التربوي في محاولتها إحداث نوع من الاستلاب الثقافي وإحداث قطيعة بين الجزائري ومقومات شخصيته الوطنية. فقد قدِم حاملا السيف والصليب، معززا بالجندي والمعلم والراهب للتمكن والتمكين. هذا ما أدى إلى توظيف نفس المتغير كعامل مقاومة، وقد تجسد ذلك في مختلف الحركات التعليمية التي قادها علماء الإصلاح في الجزائر، ويمثل الشيخ البشير الإبراهيمي علامة فارقة في ذلك، من خلال عمله على فضح أساليب الإستعمار الفرنسي، مجسدا لمشروع تربوي يساهم في استقلال الجزائر، أساسه بناء وتكوين أجيال كفيلة ببناء مجتمع مدني جزائري يتمتع بمقومات شخصيته الوطنية الضاربة في جذور التاريخ ويربطها بعناصر الحداثة. فقد عمل الشيخ الإبراهيمي على تبني وتأسيس منهج تربوي تعليمي يتوافق مع خصوصية الواقع الجزائري الذي يكابد ويلات الاستعمار، رابطا إياه في نفس الوقت بما استجد من علوم، وفق ما تيسر آنذاك من أدوات وأساليب، دون أن يخلو من رؤية استشرافية تربط الجزائر بمستقبلها. هذا ما سيتطرق إليه الباحث في هذه الدراسة الموجزة لأهم معالم وأسس المنهج التربوي للشيخ الإبراهيمي التي صيغت في الإشكالية التالية:

1.1. إشكالية الدراسة: كيف أسس الشيخ الإبراهيمي لرؤية فلسفية تربوية كفيلة بالنهضة بالمجتمع الجزائري؟ إلى أي مدى يمكن اعتبار الإبراهيمي مؤسسا لمنهج تربوي يستجيب لطموحات الأمة الضاربة في جذور التاريخ وعناصر الحداثة التي نادى بها الفكر التربوي المعاصر؟

معالجين ضمن هاته الإشكالية التساؤلات التالية:

- ما أهم الأسس التي أقام عليها الإبراهيمي منهجه التربوي والتعليمي للنهضة بالمجتمع الجزائري وتحقيق خلاصه من الاستعمار الذي عمل على سلب عقل المواطن الجزائري قبل نهب أرضه؟
- ما الغايات التي يرنوا الإبراهيمي تحقيقها من خلال منظوره ومنهجه التربوي ؟
- هل رؤيته التربوية ظرفية تنعكس على واقعه وراهنه فقط أم تتضمن رؤية استشرافية تساهم في بناء جيل جديد كفيل بتأسيس دولة على أساس الحرية والعدالة دون التنكر لمقوماتها التاريخية؟
- إلى أي مدى يمكن اعتبار الإبراهيمي أصيلا ومعاصرا من خلال منظوره ومنهجه التربوي؟

1 .2. أهداف البحث: يهدف البحث إلى الكشف عن أهم أسس ومعالم المنهج التربوي للشيخ البشير الإبراهيمي وأهم وسائله والغايات التي يهدف إلى تحقيقها. إضافة إلى المعنى الذي يحدده لكل من التربية والتعليم. وتوضيح أهم الغايات التي يطمح إلى تحقيقها.

إبراز مكانة الإمام الإبراهيمي كمفكر جزائري مسلم له رؤيته ومنهجه التربوي، الذي ساهم من خلاله مع جهود العديد من العلماء أمثاله على غرار الإمام ابن باديس رحمة الله عليهما في العمل على النهضة بالأمة الجزائرية، معتبرين أن التربية والتعليم هما الأداة الأساسية لأي أمة ابتغت تخليد اسمها في ذاكرة الإنسانية ومسار التاريخ. وبذلك انصبت جهودهما الإصلاحية في هذا المجال بالأساس.

1 .3. منهج البحث: بهدف البحث في إشكالية الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها، تم الاعتماد على المنهج الوصفي والتاريخي، الوصفي لأنه يستهدف الوصف و التحليل و التفسير من خلال تحليل أسس المنهج التربوي عن الشيخ الإبراهيمي، وتحليل رؤيته لمفهومي التربية والتعليم. والمنهج التاريخي الذي مكن من العودة إلى آثار الإمام الإبراهيمي والبحث في مختلف مؤلفاته وتتبع جهوده الإصلاحية في مشروعه التربوي.

2. ضبط المفاهيم:

نظرا للقيمة المعتبرة للمفاهيم في البحث العلمي تُلزم الضرورة المنهجية الباحث بضبط المفاهيم الأساسية في الدراسة، ما يساعد الدّارس والقارئ على تحديد موضوع الدراسة بدقة إذ لا بد من "تثبيت الاصطلاحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبدل الألفاظ التي أفرغت فيها... وتثبيت الاصطلاحات هو الحجر الأساسي في العلم ...وهذا لا يفيد العلماء وحدهم بل يفيد المعلمين والمتعلمين كما يفيد جمهور القراء، فله إذا فائدة تربوية وفائدة اجتماعية معا." [1] ومنه فالمفاهيم التي ارتأى الباحث ضبطها إيجازا تتمثل في: مفهوم المنهج، المنهج التربوي، التربية والتعليم.

2. 1. المنهج: المنهج هو الطريقة المتبعة أثناء البحث، وكلمة منهج هي ترجمة للكلمة الفرنسية **Méthode**. ولهذا فالمنهج طريقة في التفكير، أوطريقة للحصول على نتيجة في البحث.[2] ويعرف المنهج وخصوصا المنهج الدراسي أو (خطة الدراسة) بأنه مجموعة من المواد الدراسية والخبرات العملية الموضوعة لتحقيق أهداف التربية، شاملا مجموعتين أساسيتين، أولاهما المعلومات المستمدة من التراث الثقافي من جهة ما هي ذات قيمة موضوعية، وثانيتهما مجموعة الخبرات التي يمارسها المتعلم بنفسه.[3]

"والمنهج على العموم هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء، أو في عمل شيء، أو تعلم شيء طبقا لمبادئ معينة وبنظام معين، بغية الوصول إلى غاية معينة" [4] كما أنه الخطة الفكرية التي يتبعها المفكر أو الباحث لمعالجة أمر من الأمور أو بحث قضية من القضايا، بغية الوصول إلى الهدف، أو الغاية التي يسعى إلى تحقيقها كهدف منشود.[5]

يعرّف المنهج في المعجم الفلسفي لجميل صليبا بالمنهج أو المنهاج وهو الطريق الواضح، وجميع الكتب العربية التي سميت بهذا الإسم تشير إلى نفس المعنى له، وهو الطريق الواضح، والسلوك البيّن، والسبيل المستقيم. والمنهج الدراسي هو مجموعة من المواد الدراسية والخبرات العملية الموضوعة لتحقيق أهداف التربية، وهو يشتمل على مجموعتين أساسيتين، أولاهما المعلومات المستمدة من التراث الثقافي، وثانيهما مجموعة الخبرات التي يمارسها الطفل بنفسه.[6] ومنه فالمناهج تتعد بتعدد المجالات العلمية والمعرفية، بل ويتعدد مجالات الحياة وهذا ما يبنه تتبع تاريخ علم المناهج. إذ أصبح هذا الأخير كفرع علمي قائم بذاته.

2. 2. المنهج التربوي: نظرا لتعدد مجالات الحياة وفروع العلوم تعددت المناهج، ومن بين المناهج التي اعتمده الانسان عبر تاريخيه المناهج التربوية سواء بطرائق عفوية أو بطرائق مؤسسة وفق منظور معين. وبذلك فالمنهج التربوي يتمثل في مختلف الطرائق والأساليب التي تُعتمد في

---

[1]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، س1982، ص 8، 9.

[2]- إبراهيم بيومي مدكور، المعجم الفلسفي، دط، صادر عن مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع، س1979، ص195.

[3]- جميل صليبا، المرجع نفسه، ج2، ص435.

[4]- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط4، دار قباء للنشر والتوزيع، الكويت، س1998، ص673.

[5]- عبد القادر فضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، ع2، نوفمبر 2010، دار الوعي، رويبة، الجزائر، ص42.

[6]- جميل صليبا، المرجع نفسه، ج1، ص435.

تربية الأولاد والأجيال في مختلف مؤسسات المجتمع بداية من الأسرة والمدرسة. يعرّفه محمد عزّت عبد الموجود بأنه مجموع الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة للتلاميذ بقصد تعديل سلوكهم وتحقيق الأهداف المنشودة. [1]

وقد اختلفت مفاهيم المنهج التربوي وحدوده ومحتوياته كون غاياته وأهدافه تقوم على أساس فلسفة النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي القائم، إضافة إلى أهداف المنهج وحاجاته و طبيعة المعرفة وتطور العلوم. لذلك قد تتباين تعاريف المنهج بين القديم والحديث، وتتعدد في الفترة الحديثة غير أنها متشابكة ومتشابهة إلى حد كبير.[2] ويعد المنهج التربوي ميدانا تتجمع داخله تأثيرات الأصول التربوية المختلفة الفلسفية والاجتماعية والنفسية، إذ تمد تلك الأصول المناهج بأسس بنائها ومقومات اختيار مكوناتها، ومؤشرات تخطيطها وتنفيذها، فالمنهج بذلك جزء من الثقافة القومية والانسانية يعمل على استمرارها وتنميتها.[3]

ومنه فالمنهج التربوي هو المنهج الذي يتبناه المجتمع أو الدولة في تربية الأجيال وتعليمها، من خلال الاستناد إلى فكر تربوي يعبر عن مقومات الأمة التاريخية، وفلسفة المجتمع في الحياة مع الأخذ بمختلف التطورات والنظريات والأساليب الحاصلة في العلوم والمعارف.

2. 3. التربية: التربية لغة ترجع إلى الفعل رَبَّ، وربَّ (الأمر) يَرُبُّه رَبًّا و رِبَابَةً: أصلحه و مَتَّنَهُ. ورَبَّ الدُّهن: طَيَّبَهُ وأَجَادهُ. ورَبَّ القوم: ساسهم أي كان فوقهم، ورَبَّ الشيء: ملكه. وتنقسم (ربَّ) إلى ثلاثة أقسام حسب الأنباري ، القسم الثالث منها بمعنى أصلح، و الرَبُّ هو المصلح، و ربَّ ولده و (الصَّبيَّ) يَرُبُّه رَباً (رَبَّاه) أي أحسن القيام عليه و وليه حتى أدرك ، أي فارق الطفولة ، كان ابنه أو لم يكن و في الحديث «**لك نعمة تَرُبُّهَا أي تحفظها و تراعيها و تربّيها كما يربّي الرجل ولده.**» [4] وفي التنزيل الكريم قوله عزّوجل: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتْ ﴾.[5] أي يضاعفها. وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجْ ﴾ [6] أي أي نمت وازدادت.

أما اصطلاحا فيتعدد مفهوم التربية بتعدد الفلسفات والنظريات التربوية، إذ يصعب ضبط تعريف دقيق لها، وقد عبر «**رونيه أوبير R.Hubert**» عن صعوبة ذلك قائلا :" قد يبدو أنه ليس من أمر سهل تعريف كلمتي تربية **Education** وبيداغوجيا **Pédagogie** ومع ذلك ما نكاد نقبل على هذا التعريف حتى تجابهنا منذ الخطوات الأولى بعض الصعوبات."[7] يعرفها جميل صليبا بأنها تبليغ الشيء إلى كماله، أوهي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا. ويقال ربيت الطفل إذا قويت ملكاته ونميت قدراته وهذبت سلوكه حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة. وتقول تربّى الرجل إذا أحكمته التجارب، ونشّأ نفسه بنفسه ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية.[8] إن مختلف التعاريف التي تبين المدلول الاصطلاحي للتربية للتربية تبين أن هاته الأخيرة تتوجه إلى الإنسان بغض النظر عن موقعه في المجتمع و عن عمره الزمني، وإن ركزت أكثر على المتعلمين. بهدف

[1]- محمد عزت عبد الموجود، أساسيات المنهج وتطبيقاته، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، س1981، ص11.
[2]- أحمد علي الحاج، أصول التربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، س 2013، ص319.
[3]- أحمد علي الحاج، المرجع نفسه، ص 320.
[4]- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جوهر القاموس، تحقيق علي هلالي، ج2، مطبعة حكومة الكويت، ط2، س1408هـ- 1987م، ص463، 464.
[5]- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 276.
[6]- القرآن الكريم، سورة الحج، الآية 05.
[7]- روني أوبير، التربية العامة، ت عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، 1983،ص21.
[8]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، مرجع سابق، ص266.

نقل الانسان إلى حال أفضل وتشمل مختلف أبعاده، فهي بذلك عملية تشمل كل أطياف المجتمع ومستمرة باستمرار وجود الإنسان فهي لا تقتصر على فئة أو مرحلة معينة.

2. 4. التعليم: التعليم لغة من مصدر علّم، فقولنا علّم الناشئة، لقنها الدرس وأعطاها المعرفة، والتعليم مهنة المعلم، وفي المعاجم المعاصرة هو: "(مساعدة شخصٍ ما على أن يتعلم كيف يؤدي شيئا ما) أو(تقديم تعليمات) أو(التوجيه في دراسة شيء ما) أو (التزويد بالمعرفة) أو (الدفع إلى الفهم والمعرفة.)"[1]

أما اصطلاحا فمفهوم التعليم هو الآخر يتعدد بتعدد نظريات التعليم، وتعدد الفلسفات التربوية. ففي المعجم الفلسفي لجميل صليبا تعني **Enseignement** التدريس، وهو مقابل للتّعلم، تقول علّمته العِلم فتعلّم. والتعليم أخص من التربية، لأن التربية تشمل نقل المعلومات إلى الطالب مع العناية بتبديل صفاته وتهذيب أخلاقه، والتعليم لا يشمل إلا نقل المعلومات بطرق مختلفة. ومفهوم التعليم يتضمن الحاجة إلى المعلم، على حين أن مفهوم التعلّم لا يتضمن ذلك لأن المتعلم يستطيع تحصيل العلم بنفسه، وربما كان استقلاله بطلب العلم أعمق تأثيرا في نفسه من أخذه من معلم.[2]

يعرّف أيضا بأنه " عملية تسهيل تفاعل المتعلم مع بيئته بهدف تحقيق النمو المعرفي من خلال ما يقوم به من بحث ، تحليل ، تركيب ، قياس و اكتشاف. و يدخل ضمن هذا التعريف ما يسمى بمعالجة المعلومات وهي عملية تتطلب دورا نَشِطا إيجابيا من قبل المتعلم الذي يحول ما يكتسبه من معلومات إلى مفاهيم ومدركات تدخل ضمن نطاق التنظيم المعرفي القائم من خلال عمليات المواءمة، التمثيل، والإدماج." [3] وهو الجهد الذي يبذله شخص (المعلم) اتجاه شخص (المتعلم) لإكسابه خبرات أو ينقل إليه معارف معينة. لذلك فالتعليم فالتعليم عملية تحفيز وتنشيط و استثارة قوى المتعلم العقلية، وتهيئة الظروف المناسبة التي تمكن المتعلم من التعلم، ولا تتم هذه العملية إلا بوجود ثلاثة عناصر، وهي المعلم، المتعلم، والمادة موضوع التعلّم.[4]

3. مفهوم التربية عند الإبراهيمي.

يرتبط مفهوم التربية عند الشيخ البشير الإبراهيمي بمفهوم التعليم، نظرا إلى التداخل الكبير بينهما، غير أن التعليم يعدُّ جزءً أو وسيلة لتحقيق غايات تربوية. فيعد التعليم لاحقا بالتربية مفهوما ووظيفة، باعتبار أن التعليم في فحواه يتضمن مفاهيم وأبعاد تربوية ومعرفية، خاصة من حيث التكامل الوظيفي وتعليم مختلف القيم الأخلاقية، فيعد بذلك وسيلة أساسية تساعد على تحقيق الغايات والأهداف التي تنشدها التربية. وما التعليم في المدارس إلا وسيلة لتحقيق الرؤية التربوية التي ينشدها المجتمع. وإن «أشرف خدمة يقدّمها العاملون المخلصون لأمتهم ولوطنهم هي التعليم والتربية الصالحة، فهما سلّم الحياة وإكسير السعادة.» [5] ومنه سيتفرد الباحث بتحديد الإبراهيمي لكل مفهوم على حدة من خلال استقراء آثاره.

---

[1]- دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ت عبد الله الراجحي وعلي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص25.

[2]- جميل صليبا، المرجع نفسه، ج1، ص307.

[3]- عبد الله قلي، فضيلة حناش، التربية العامة – سند للتكوين المتخصص، المعهد الوطني لمستخدمي التربية وتحسين مستواهم، وزارة التربية، الجزائر، س2009، ص16.

[4]- ابراهيم ناصر، مقدمة في التربية، دار عمان للنشر و التوزيع، عمان، س2002، ص 40-41.

[5]- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج2، (1940-152)،جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص 115.

التربية عند الإبراهيمي تتمثل في مختلف الجهود التي يبذلها المعلمون والمربون في تكوين الأجيال وتنشئتهم للحياة، تكوينا يحكمه نظام العلم والأخلاق، فتكون التربية شاملة لمختلف جوانب الانسان العقلية والنفسية والجسمية بهدف الإعداد الكامل له. هذا ما يتحدد من خلال توجيه الإبراهيمي المعلمين والمربين في الحرص على تربية الشباب قائلا : «إن شباب الأمة هم الدّم الجديد في حياتها، فمن الواجب أن يصان هذا الدم عن أخلاط الفساد، ومن الواجب أن يتمثل فيهم الطهر والفضيلة والخير، ومن الواجب أن تربى ألسنتهم على الصدق وقول الحق، هذه الطلائع التي هي آمال الأمة، ومناط رجائها، والتي لا تُحقق رجاء الأمة إلا إذا انقطعت إلى العلم وتخصصت في فروعه، ثم زحفت إلى ميادين العمل مستكملة الأدوات تامة التسلح، تتولى القيادة بإرشاد العلم، وتحسن الإدارة بنظام العلم، فتثأر لأمتها من الجهل بالمعرفة، ومن الضعف بالقوة، ومن العبودية بالتحرير.»[1] إذ يجمع الإمام الإبراهيمي في مفهومه للتربية يجمع بين الجانبين المعرفي (العلمي) والعملي (الممارسة)، مع ضرورة التركيز على الجانب العَمَلي فيها لا الاهتمام بالنظري فقط، فلا تقوم التربية إلا إذا ترجمت المعارف والعلوم إلى ممارسات عملية تظهر نتائجها على أرض الواقع، جامعا بين النظري والتطبيقي، بين الروحي والمادي، فهي تربية تجمع بين منطق الفكر ومنطق العمل. وهي سبيل النهضة بالأمة من خلال توجيهها نحو الشباب بصفة أكبر، معتبرا الشباب المحور الأساسي الذي تستثمر فيه التربية، والعامل الأول الكفيل بنقل الأمة من دياجير العبودية التي فرضها الإستدمار إلى أنوار النهضة والتحرير. إذا نشأ الشباب على تربية علمية وأخلاقية صحيحة. تمكنه من تولى زمام القيادة بالعلم لبناء مستقبله بذاته لا بذوات أخرى. فالتربية عملية متسلسلة شاملة تبدأ من الفرد وتنتهي بالمجتمع ككل. من منطلق أن تربية الفرد، هي تربية للمجتمع و للأمة بصفة عامة.

يؤكد شكري فيصل ضمن هذا السياق في مقاله: « قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي» أن مفهوم الإمام الإبراهيمي للتربية يتضح عندما يضع بجواره مصطلحي العلم و العمل كأساسين من أسس التربية، فتبدأ هذه الأخيرة بالشباب الذي يعلق عليه الأهمية الكبرى.[2] فالتربية لها مهمة ووظيفة عِلميّة عَمَلية لا نظرية فقط، فتحقيق غايات التربية ونهضة المجتمع لا يكون بتقديم معارف وتأملات ذهنية ذات بعد نظري فقط، بل لا بد من إعطاء البعد العملي والعلمي لها، لأنه الكفيل بإظهار نتائج التربية، فتظهر الحركة والصيرورة مقابل السكون النظري، ومنه كان التأكيد على تصيير النظري إلى ممارسات عملية. كما تتسع التربية لعدة مفاهيم وتشمل عدة وظائف من منظور الإمام الإبراهيمي، فهي فعل يحافظ على الفطرة السليمة التي جبل عليها الإنسان، فتحافظ على فطرة الشاب الجزائري، وهي تربية تتوافق مع مقومات شخصيته الوطنية، فتحافظ عليها. وهو ما تبين في تأكيد الإمام على ضرورة أن تصان عقول وأفكار شباب الأمة اللذان يمثلان – دمه– من أخلاط الفساد فهي تحميه مما يفسد فطرته، وتُقَوِّمُ وتصلح ما زاغ منها.

يتضح أيضا أن التربية في مفهوم الإبراهيمي عملية إعداد للحياة، إعداد يتسم بالتجديد بناء على المتغيرات العلمية التي تفرضها الحياة المعاصرة دون التنكر للثوابت الأخلاقية والوطنية. وهي حق للأجيال على الآباء حتى يتم تجاوز نقائص التربية السابقة، يبين ذلك قوله:« للجيل الآتي علينا حقوق أولية مؤكدة لا تبرأ ذمتنا منها عند الله ولا تسقط شهادة التاريخ علينا بها، إلا إذا أديناها لهم كاملة غير مبخوسة، وملاك هذه الحقوق أن نعدّهم للحياة على غير الطريقة التي أعدّنا بها آباؤنا للحياة.»[3]

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه،ج3 (عيون البصائر)، ص68، 69.

[2]–شكري فيصل، قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي،الشيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، 2012، ص177. (إعادة طبع لمجلة الثقافة "عدد خاص بالإبراهيمي" العدد87،شعبان–رمضان، 1405هـ، ماي–جوان، 1985 في كتاب بعنوان الشيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه).

[3]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج3، مصدر سابق، ص 273.

فهي بمثابة الأمانة على كاهل المربين والمعلمين وكل مثقف خصوصا في راهن الإبراهيمي الذي شكل فيها المربي حلقة ضرورية لاستكمال مسار النهضة الذي خطّه العلماء والمصلحون. هذا ما يتأكد من خلال توجيهات الإبراهيمي له : « أنتم حراس هذا الجيل الجديد، والمؤتمنون عليه والقوّامون على بنائه، وأنتم بناة عقوله ونفوسه، فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة، وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية، وأشربوه عرفان قيمتها...ربوهم على ما ينفعهم وينفع الوطن بهم، فهوم أمانة الوطن عندكم، وودائع الأمة بين أيديكم.»[1] فالتربية عند الشيخ الإبراهيمي هي عملية إعداد الفرد وتهيئته ليقوم بدوره داخل أمته، التي تنتظر منه أن يكون فاعلا مؤثرا فيها. وهي سعي إلى خير الفرد، ومنه إلى خير المجتمع الذي ينتهي بخير الأمة، وبالتالي تحقيق السعادة الحقيقية، التي لن تقوم أوتفيد ما لم تقم على التربية السليمة والتعليم الحقيقي.[2]

يشير عبد الله بن صفية بأن التربية عند الإبراهيمي تربية ذات طابع إسلامي من منطلق تكوين الشيخ وثقافته، حيث اتجه بالفعل التربوي إلى مختلف أطوار وأفراد المجتمع الجزائري بهدف التكوين الشامل له، "لقد كان دور الإبراهيمي التربوي منصبا على تنشئة جيل مسلم وإعداد كل فرد فيه إعدادًا كاملا من جميع النواحي وفي جميع مراحل نموه، وذلك في ضوء المبادئ والقيم وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي جاء بها الإسلام، فكانت التربية عنده أساس عملية التغيير سواء في النفس أو في المجتمع، بالرغم من تسبيقه الأولى على الثانية: فالتغيير بحسب الشيخ ينبع من الدّاخل، بإعادة بناء كيان الإنسان النفسي والعقلي، و الوجداني على أسس صحيحة من العقيدة الحقّة والإيمان العميق والفكر المتبصر...ثم يأتي بعدها التغيير في المجتمع، أي التغيير الخارجي، وهو التغيير الأطول زمنيا (تغيير بنفس طويل) كما وصفه." [3]

ومنه فالتربية عند الإبراهيمي فعل يقود الإنسان إلى الفضيلة والخير ويحفظ له فطرته السليمة، كالصدق وقول الحق والوقوف معه إلى غير ذلك من الفضائل. إذ يقودنا هذا التعريف إلى جانب من الرؤية الأفلاطونية للتربية. إذ الهدف من التربية هو إصلاح الفرد والمجتمع والوصول إلى معرفة الخير، وتنمية هذه المعرفة وطبع النفس الإنسانية على الحق والخير والجمال، وهي تدريب الفطرة الأولى للطفل على الفضيلة من خلال إكسابه العادات المناسبة. فالتربية عملية تدريب، ومجهودات الجيل القديم لنقل العادات الطيبة وحكم الحياة للأجيال اللاحقة.[4] ولا تتمثل التربية في حشو ذهن المتعلم بكثرة المعلومات والمواعظ التي سرعان ما ينساها، بل التربية الحقة هي التي يعيش الفرد من خلالها الواقع، فهي مرتبطة بالحياة وهادفة إلى إعداد وتكوين الإنسان الفاعل في الحياة، وبذلك فهي عملية معقدة مركبة الأجزاء لا يمكن فصل أي جزء منها عن الآخر، تسعى إلى إعداد الإنسان الذي يحسن فهم الأشياء ويحسن الحكم عليها، وبذلك يفهم معنى الحياة، فيحسن تحليل أمورها.[5]

يؤكد الإبراهيمي ضمنيا أن التربية فنّ قبل أن تكون علما. من منطلق ذلك الأثير التربوي الذي ينبغي للمربي أن يحيكه للمتعلمين فيلهمهم، إذ لا تُتاح الممارسة التربوية والتعليمية لكل من أحاط ببرنامج دراسي أومعرفة معينة بل للتربية فنياتها وطرائقها. « أما العمدة الحقيقية في الوصول إلى الغاية من التربية فهي ما يفيض من نفوسكم على نفوس تلاميذكم الناشئين من أخلاق طاهرة قويمة يحتذونها

[1]- محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه،ج3، ص 271.

[2]- جيلالي ضيف، بناة المجد- محمد البشير الإبراهيمي، دار الخليل العلمية، الجلفة،2013، ص98، 99.

[3]- عبد الله بن صفية، الفكر التربوي و سؤال المرجع عند محمد البشير الإبراهيمي، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية – العام الخامس، العدد 40، أفريل 2018. لبنان، ص 46.

[4]- عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، 1971، ص32، 33.

[5]- بيبي مرزاق، الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد البشير الإبراهيمي دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه دولة في علوم التربية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص64، 65.

ويقتبسونها منكم، وما تبثّونه في أرواحهم من قوة وعزم، وفي أفكارهم من إصابة وتسديد، وفي نزعاتهم من إصلاح وتقويم، وفي ألسنتهم من إفصاح وإبانة، وكل هذا مما لا تغني فيه البرامج غناء. ولو كانت البرامج تكفي في التربية لكان كل عالم مربيّا، ولكن الواقع خلاف ذلك.» [1]

إن أكدت نظرة الشيخ الإبراهيمي مرارا على أن التربية لا تكون إلا باجتماع ثنائية العلم مع العمل مثلما تبين سابقا، وضرورة ربط التربية بحياة المتعلم، من خلال استثمار علمه في حياته لا أن توغل التربية والعلوم في الجانب النظري فقط. « امزجوا لهم العلم بالحياة، والحياة بالعلم، يأت التركيب بعجيبة. ولا تعمروا أوقاتهم كلها بالقواعد، فغن العكوف على القواعد هو الذي صير علماءنا مثل القواعد.» [2]

يؤكد الإبراهيمي إضافة إلى ذلك على ثنائية أخرى تمثل في حقيقتها كُلاّ واحدا لا تكون التربية إلا به، وهي مراعاة التوافق بين النمو العقلي والنمو الجسمي لدى الإنسان، بين تكوين الإنسان الروحي والبدني، فيجب أن تقوم وتراعي التربية النمو العقلي والجسدي، فلا يغلب مثلا الاهتمام بالجانب العقلي على الجسدي في مرحلة لم يكتمل فيها بعد نمو العقل، كأن يُعلَّم الطفل معارف لا يستطيع عقله استعابها وفهمها، أو إهمال الإهتمام بالتكوين الروحي له مركزين على الجانب البدني، فنربي فيه حب الماديات مقابل النفور من الروحيات. إضافة إلى مراعاة نفسية المتربي أثناء العملية التربوية والتعليمية، كنمو إحساساته وتقلبات مشاعره وأحواله. إذ يفهم من هذا أن كل مرحلة زمنية من عمره، وكل جانب من جوانب شخصيته إلا وله تربية خاصة به.ما يعبر عنه بقوله: « أن يكون غذاؤه العقلي مسايرا لغذائه الجسمي، ويكون تكوينه الروحي جاريا مع تكوينه البدني في عنان واحد، ويكون نمو مداركه العقلية بالعلم و المعرفة مقارنا لنمو إحساساته النفسية بالطبع والفطرة. فيتلقى العقد الثاني من عمره – وهو عهد الإحساس بجمال الحياة – مُزودًا بإحساس آخر، وهو الإحساس بجمال العلم وشرف الفضيلة والدين، ويتلقى هذا العهد الذي هو أيضا، عهد النزوات وتَنَبُّه الغرائز الفطرية، مسلحا مما يدفع غوائلها، ويشذب زوائدها، ويهذّب حواشيها.» [3]

يكون هذا التوافق ضروريا في مراحل العمر الأولى، أو العقد الأول من العمر بتعبير الإمام الإبراهيمي، بينما في العقد الثاني من عمره فيركز على الجانب الروحي والمعرفي أكثر. أين تنموا إحساساته وتتسع مداركه، يزداد نشاطه وإقباله على الحياة، فيربى على قيم الفضيلة والعلم مما يزيده شغفا بالمعارف، ومما يساعده في توجيه سلوكه والتحكم فيه، وفهم المتغيرات الحاصلة على جسمه وانعكاساته على نفسيته وسلوكه. فالعملية التربوية بأهدافها، طرقها ومناهجها يجب أن تكون مناسبة لمرحلة النمو التي يمر بها الطفل أو التلميذ. إذ يؤكد الإبراهيمي على ذلك التوافق والتدرج في تربية الطفل عند اجتيازه العقد الأول من عمره بقليل. فالتربية لا تكون دفعة واحدة من لحظة الطفولة إلى النضج، ولا من لحظة الميلاد إلى الشيخوخة، بل تكون جارية ومسايرة لارتقاء ملكاته وتطور تفكيره، فهي تتبنى تسلسلا زمنيا و نَمائِيًا، عمرا زمنيا مساويا لمسار حياة كل إنسان، بل ما التربية إلا حياة الإنسان.

فالتربية عند الإبراهيمي "كانت إجمالا تبتغي الإهتمام بالتنمية الشخصية المتكاملة للفرد فكرا وخلقا وقيما وجسما. وقد أكد الشيخ أنه يريد بممارسته التربوية التعليمية توجيه المجتمع إلى سبيل الرشاد وذلك من خلال إنشاء جيل من المعلمين يخلفونه ويحافظون على رسالته. الأمر الذي جعله ينشئ عددا من المؤسسات لإعداد المعلمين في مختلف التخصصات." [4] فتربيته هي سعي إلى تجسيد الكمال الإنساني للإنسان من خلال ما فطرة الله فيه وما زوده به من ملكات وقدرات. على المربي استثمارها وإرشاد المتعلمين حتى يتجاوزوا نقائصهم بهدف

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، مصدر سابق، ص 111.
[2] – محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج3، ص 272.
[3] – محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج2، ص109.
[4] – عبد الله بن صفية، الفكر التربوي و سؤال المرجع عند محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 50.

بلوغ هذا الكمال. « إن الكمال والنقص وصفان يتعاقبان على الفرد كما يتعاقبان على المجموع، وهذا الإنسان العاقل خلق مستعدّا للكمال، وقد هيّأ له خالقه الحكيم أسبابه ومكّن له وسائله، ونصب له في داخل نفسه وخارجها أمثالا يحتذيها لبلوغ الكمال، ووضع بين عينيه صور الموجودات وعوارض الكمال والنقص فيها لينتزع من قوانين الكمال فيها قانون كماله، وليجتنب من علمه بأسباب نقصها أسباب نقصه، وإن كانت أصول الكمال والنقص في العالم الإنساني تختلف عن أصولها في غيره من العوالم، لأن لاختيار الإنسان مدخلا كبيرا وأثرا قويا في كماله ونقصه، والاختيار من خصائص هذا الإنسان.» [1]

يتضح أن مفهوم التربية لدى الإمام الإبراهيمي شامل لعديد المعاني التي يقدمها المختصون في حقل التربية والتعليم، خصوصا المفاهيم الحديثة والمعاصرة منها التي ركزت على الإنسان بمختلف أبعاده العقلية والنفسية والجسدية، كما يدخل ضمن مفهومها مختلف الجهود التي يبذلها العلماء، المعلمون والمسئولون في رعاية أفراد المجتمع في مجال التربية والتعليم والتوجيه، فهي رؤية ترتبط أساسا بما يرنوا المجتمع تحقيقه من وراء تلك المجهودات. فهي سير بالإنسان نحو بلوغ الكمال الإنساني في مسار حياته الإنسانية ككائن خلق مستعدا بطبعه للخير والكمال.

3. مفهوم التعليم عند الإبراهيمي:

بالنسبة إلى مفهوم التعليم عند الإمام الإبراهيمي فيمكن تحديده على أنه عملية نقل لمختلف المعارف والمعلومات من المعلمين والمربين إلى المتعلمين، وهو ما يبرزه تحديده لبعض أهداف التعليم بأن ينقل المعلمون للمتعلمين تاريخهم و يعرفونهم به، وينقلون الدين الإسلامي و فِقهِه لهم، ومختلف العلوم الأخرى التي تفيدهم. ويمكن استنباط مفهومه للتعليم عندما يصف تعليم الشيخ ابن باديس بأنه: تحصيل لثمرات العلم وتقوية للإرادة والعزيمة لدى التلاميذ، فيفيض عليهم المعلم من روحه القوية فيضا من القوة يعدهم للعمل في أمة مفتقرة إلى العاملين. [2]

ينتقد الشيخ الإبراهيمي المعنى الكلاسيكي للتعليم بأنه عملية تلقين المعارف من المعلم إلى المتعلم هذا الأخير الذي يكون متلقيا سلبيا فيها، من منطلق أنه يتلقى فقط دون أن يكون إيجابيا فعالا في هذه الممارسة التعليمية فيكون التعليم من هذا المنظور عملية نقل معارف لا أكثر وهو ما ساد في أبجديات التعليم الكلاسيكي. أوما يعرف في أدبيات علوم التربية بالتعليم عن طريق المحتوى أين يكون المعلم محور التعليم وأساسه. والهدف من هذه العملية نقل محتوى تعليمي معين للمتعلم. إذ يتجاوز الإمام محمد البشير الإبراهيمي المفهوم التقليدي للتعليم الذي غالبا ما انتقده وأبرز سلبياته ومضارّه على التربية والتعليم. فقد كانت هاته الطريقة منتشرة في المؤسسات التعليمية الإسلامية العربية، سواء في المساجد نظرا لدورها التربوي التعليمي ناهيك عن التعبدي، أو بالنسبة إلى المدارس الابتدائية والثانوية. «كان العِلمُ إلى ما قبل النهضة مباشرة عبارة عن أقوال يسلمها الشيخ لكتابه، ويسلمها التلميذ لشيخه، فإذا استقامت تراكيب الكتاب وأفادت معنى صحيحا لم يكن في ذهن الشيخ قوة على التماس الدليل، ولم يكن من حق التلميذ أن يطالبه بالدليل، إذا تاقت نفسه إلى الكمال بمعرفة الشيء بدليله، أو انقدح في نفسه خاطر من شك في صحة تلك القضية فأراد أن يطرده بالدليل.» [3]

إضافة إلى ما هو سائد في الدراسات العليا آنذاك كما هو الحال في جامع الزيتونة أو الأزهر باعتبار أن معظم بعثات الطلاب الجزائريين كانت تواصل دراساتها العليا في هذين القطبين، أين بقي التعليم فيهما رهينا للتلقين والنظم القديمة من حيث البرامج و المناهج. حيث يصفه الإمام الإبراهيمي بالنظام البالي المتآكل الذي تجاوزه الزمن و هو ما يتطلب ثورة إصلاحية شاملة للمناهج والبرامج ومختلف

[1]- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، (1929-1940)، مصدر سابق، ص 201.
[2]- محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج2، ص 171.
[3]- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 147.

المؤلفات المعتمد عليها في التعليم. فإذا صلح التعليم في كل جوانبه هاته سينتقل الإصلاح لا محالة إلى العقول. فالمسار الإصلاحي في التعليم يبدأ من الكتب وينتهي إلى العقول والأنفس و يشمل ما بينهما من مختلف النظم و الطرائق المعتمد عليها.

إذ يبين ذلك قائلا: «ما زلنا نبرأ بجامعاتنا أو – جوامعنا التاريخية – أن تبقى جارية على التقليد البالي في مناهجها وكتبها، وأن ترضى لنفسها هذا الجفاف في الزمان المِمَرَّع، وهذا التَمَطي في العصر المسرع ، وما زلنا نرجوا له – مخلصين – إصلاحا شاملا، يعقبه صَلَاح كامل، يبتدئ ذلك الإصلاح من الكتب وينتهي إلى العقول، و يجرف ما بين الطرفين من أوضاع من النظم بالية، و أوساخ من الأذهان عالية.»[1] فمقالات الإمام الإبراهيمي ومحاضراته تظهر أنّه لم يكن معلما عاديا ممن يعتبرون التعليم مجرد عملية تلقين لمعارف، كما استشرى في فاهمة أغلب المعلمين في عصره، بل على النقيض من ذلك كان يمتلك نظرة خاصة إلى التعليم ورسالة المعلم و أبجدياتها. والمقارنة بين ما هو معتمد اليوم وبين رؤيته، يبين أنه تطرق إلى موضوعات لم يكن قد تُطُرّق إليها آنذاك.[2] وبذلك يمثل موقفه من التعليم ثورة مفاهيمية وممارساتية على ما كان سائدا من طرائق في التعليم العربي. من خلال تركيزه وربطه بين مختلف الحلقات المشكلة للمنظومة التربوية والتعليمية بصفة عامة، من العامل البشري المعلم والمتعلم، إلى الجانب المعرفي ومختلف الوسائل المادية والطرائق والمناهج الكفيلة بتأسيس تعليم متقدم ناجح.

ويعد التعليم عملية يراد منها بلوغ سلوك معين، ويبتغي فعلا يحدث تغييرا في الواقع الاجتماعي والاقتصادي، فالتعليم فعل ايجابي يرمي إلى بناء المتعلم من النواحي الدينية والعقلية والاجتماعية، بناء يتلاءم مع متغيرات الحياة والواقع.[3] فيكون التعليم مصاحبا لأي متغيرات في عالم الأفكار والحوادث، ومختلف المتغيرات الاجتماعية والثقافية، بأن يكون التعليم «وليد التطورات والحوادث المفاجئة التي تعمل في تكوين العالم كله تكوينا جديدا، وإن أول ما تفعله الحوادث طبع الأفكار والعقليات طبعا جديدا.» [4]

فالتعليم من منظور الإمام عملية متكاملة الأطراف، لا يقتصر على تلقين المعارف للمتعلم فقط، بل هو عملية متواصلة يتداخل فيها دور كل من المعلم، المتعلم و المعرفة. مع الارتباط بالمتغير الخارجي الحاصل على المعارف والمعلومات لا الإرتهان إلى معارف يغلب عليها طابع الجمود نظرا لعدم ربطها بما استجد و تَغير، وإصلاح ما تقادم منها، فهو يركز على ضرورة الانطلاق من قاعدة وأساس صحيحين في التعليم، لأن صحة المنطلق تمثل عاملا مهما في تحقيق الأهداف المراد تحقيقها. إضافة إلى التركيز على النظرة التكاملية والشمولية للعملية التعليمية في مختلف أطوارها من التعليم الابتدائي إلى الثانوي وصولا إلى مرحلة الدراسات العليا، لا التركيز على طرف وإهمال أطراف أخرى. إذ يجب أن يكون التعليم في نظر الإمام الإبراهيمي:

« كاملا في جميع مراحله، يبنى على أساس صحيح في المرحلة الابتدائية، وصحة الأساس تكون بالمعلم الكفء، والكتاب الوافي، والبرنامج الكافي، ثم ينتقل إلى الدرجتين الثانوية والعليا. فالأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر في قوته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء، وتحمله نذُر الموت.»[5]

كما تشترط عملية التعليم من منظوره الكفاءة لدى المعلم، كفاءة معرفية بأن يكون ملما بالجانب المعرفي الذي يدرسه، يحيط بما تقادم وما استجد فيه من معلومات وطرائق ومناهج، وكفاءة سلوكية ومهنية من خلال التعامل مع المتعلمين والتفاعل معهم والإحاطة

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج3، ص409.

[2] – جيلاني ضيف، بناة المجد– محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص98.

[3] – ولهة حسين، نحو فهم للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي، مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ع15، س2012، ص 195-197.

[4] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، مصدر سابق، ص 123.

[5] – محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج3، ص283.

بمختلف جوانب شخصيتهم. كفاءة الضمير والحِس بأن يكون مدركا لمدى أهمية وحساسية الدور الذي يقوم به، فهو ليس وظيفة مثل الوظائف الأخرى. إضافة إلى إقامة كتاب «وافي » يكون شاملا لمختلف ما يحتاجه المتعلم من جوانب معرفية ومنهجية حتى تتحقق صفة الوافي فيه. أو أن يمهد ويحفز المتعلم للبحث عن المعرفة ويحدد له وسائلها. ويرتبط ذلك أيضا ببرنامج يتصف بخاصية الكفاية في نظر الإمام أي يكون شاملا وكافيا لما يراد تعليمه من مقررات ودروس في كل مرحلة تعليمية معينة. فالتعليم الذي يعنيه هو ما ينقل المتعلمين أوبالأحرى المجتمع في تلك الفترة من نظام الأموات إلى نظام الأحياء، فَيُحْيِي ما قتله الاستعمار فيهم. من وعي و فكر وأخلاق وكل ما يتعلق بمقومات الشخصية الوطنية الجزائرية. باعتبار أنه لا حياة إلا بالمعرفة و بالعلم. وكأن التلقين في نظر الإبراهيمي عبارة عن جرثومة وفيروس استشرى في التعليم لا بد من مكافحتها وإلا سينتقل أثرها السلبي على الأجيال الصاعدة نظرا لما يتم تلقينه خصوصا المعارف غير الصحيحة أو المخالفة لمقومات الأمة وجذورها الضاربة في التاريخ. فالتأسيس لتعليم صحيح في مبناه وأهدافه كفيل بتفادي فناء الأمة.

4 . أسس منهج الإبراهيمي في التربية:

تبين من خلال الضبط المفاهيمي لمصطلح المنهج أنه يمثل حجر الرحى لأي مشروع، إذ يمثل خارطة الطريق التي ينتهجها أي مفكر، فيلسوفا كان أوعالما في بحثه. فيحدد له الطرائق والوسائل، ويوضح المرامي والأهداف التي يرنوا تحقيقها. وفي هذه النقطة نتطرق إلى المنهج التربوي الذي أرسى معالمه الإبراهيمي مع خيرة علماء الجزائر. يتمثل المنهج عند الإمام البشير الإبراهيمي في مختلف الطرائق والوسائل والأساليب التي اعتمد عليها الإمام في مشروعه الإصلاحي عموما وما اندرج ضمن ذلك من إصلاحات تربوية ودينية واجتماعية، إضافة إلى ما تعلق وما تعلق بذلك من قضايا ونشاطات إرشادية توعوية.

أما المنهج التربوي فهو لا يخرج عن الإطار العام لمفهوم المنهج، إذ يمثل جانبا منهجيا يختص بقضايا التربية والتعليم، فيمثل بذلك المسار والنهج الذي رسمه في معالجة مختلف القضايا التربوية والتعليمية وما تعلق بها من قضايا في مجالات أخرى. منطلقا مما هو موجود – ما هو متاح من إمكانات ووسائل وموارد بشرية– إلى ما هو منشود –بناء الشخص الجزائري الذي يعكس طموحات الأمة الجزائرية– مؤكدا على طبيعة هذا المنهج الذي ينبغي أن يتناسب وخصوصية الظرف والواقع، ويستثمر في البناء الفكري والروحي للمواطن الجزائري قائلا في ذلك: «وخير المناهج لأمة كأمتنا في ظرف كظروفنا ما خرج سالكه بفكر صحيح وإن لم يخرج بعلم كثير.»[1]

يؤكد على طبيعة منهجه في التربية توجيهاته مفهومه للتربية مثلما تبين سابقا ومختلف توجيهاته للمعلمين عندما أكد أن العمدة الحقيقية لبلوغ الهدف من التربية هي ما يفيض من نفوس المتعلمين على التلاميذ من أخلاق، وما يبثونه في أرواحهم من عزم، ومن توجيه للأفكار وإصلاح للنزعات وهو ما لا تفيد فيه البرامج كثير بقدر ما تفيد فيه روح المربي التي ينفثها في تلامذته. يؤكد ذلك قائلا: « أعيذكم بالله يا أبنائي المعلمين أن تجعلوا كلّ اعتمادكم في تربية الصغار للرجولة على البرامج والكتب، فإن النظم الآلية لا تبني عالما ولا تكوّن أمة ولا تجدّد حياة. وإنما هي ضوابط و أعلام ترشد إلى الغاية، وتعين على الوصول إليها عن طريق قاصد وعلى نهج سوّي.» [2]

يوضح عبد القادر فضيل ذلك معتبرا أن المنهج بالنسبة للإمام الإبراهيمي "هو الخطة التي رسمها لنشاطه الإصلاحي في المجال التربوي و التعليمي، وجعلها سبيله في تناول قضايا التربية وتحديد مفهوم كل قضية. ورسم النموذج التعليمي المنشود الذي يراه ملائما لإنتظارات المجتمع ومحققا لتطلعات الأجيال."[3] مبرزا أنه منهج يهدف إلى تربية الفكر دون التقليل من أهمية المادة العلمية، دون الاقتصار في التربية

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، مصدر سابق، ص 111.
[2]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج 2، ص 111.
[3]– عبد القادر فضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص42.

والتعليم على المعلمين والمصلحين إنما التعليم مسؤولية الأمة، فالمنهج والنموذج التربوي الذي يتصوره تصورا حيّا متغير حسب الزمان والمكان والتغيرات المستجدة، فما يصلح اليوم قد لا يصلح غدا.[1]

منهج الشيخ التربوي مستمد من قراءته للواقع الجزائري وفهم تركيبته فهما صحيحا، خصوصا الواقع التربوي والتعليم العربي الإسلامي الذي حرم منه أبناء الجزائر غالبا، وقد أشرف الإبراهيمي على هذا التعليم مدرسا ومنظرا، ما مكنّه من فهم مختلف خباياه من مزايا ونقائص فأحسن استثمارها وإعادة صياغتها وتكييفها. إضافة إلى التكوين التربوي الإسلامي للشيخ ومختلف رحلاته معلِّما ومتعلّما. غير أن المحور الأساسي في منهجه استمده من قراءة الواقع الجزائري كقراءته للكتاب وهو ما يضفي الصبغة الواقعية لمنهجه، يتبين ذلك من خلال قوله: « فأزعم أنني جربت ودرست، وأنني قرأت هذه الأمة وفهمتها كما أقرأ الكتاب وأفهمه، وما هذا ببعيد ولا كثير فيمن خدم أمة ولابسها عشرا من السنين معلما مدرسا واعظا خطيبا، محاضرا ينتزع مواضيع محاضراته من وجوه الجمهور قبل أعمالهم، وقد خرجت من هذه الدراسة الطويلة بنتائج جليلة يجب أن تدون وأن تكون دستورا للعاملين.»[2]

وأولى لبنات المنهج كانت نتاجا لتدارسه مع الإمام ابن باديس، حيث مثلت لقاءاتهما المتكررة بمثابة منطلقات تأسيسية ووضع برنامج عمل، تصور مسبق للمنهج وللمشروع التربوي عامة، وإلى مآلاته التي يمكن أن يؤدي إليها نتيجة الأحداث المتعاقبة على الجزائر. وهو ما يصرح به الإمام الإبراهيمي قائلا: « كانت الصلة بيني وبين ابن باديس قوية وكنا نتلاقى في كل أسبوعين أو كل شهر... فنزن أعمالنا بالقسط ونزن آثارها في الشعب، ونبني على ذلك أمرنا، ونضع على الورق برامجنا للمستقبل بميزان لا يختل أبدا، وكنا نقرأ للحوادث والمفاجآت حسابها.»[3] إذ يمكن استخلاص سمتين من أهم سمات المنهج التربوي الذي قدمه الإبراهيمي في عبارته الآنف ذكرها يتمثلان في: الواقعية والمستقبلية.

الواقعية: كون المنهج التربوي عند الإمام نابعا من قراءة الواقع بحكمة و واقعية. وهو الواقع المعيش الذي يحتضن الشعب الجزائري، لبناء منهج يتفق وخصوصيات ومقومات الشخصية الوطنية، إضافة إلى مراعاة حركة هذا الواقع، متغيراته ومستجداته بفعل الأحداث المتعاقبة عليه. وتظهر خصوصية الواقعية أيضا كون هذا المنهج التربوي يمكن تجسيده ميدانيا، وهو ما أشرف عليه الأئمة والمعلمون المنضوون ضمن جمعية العلماء المسلمين. دون إغفال وقع ذلك المنهج على الشعب، هذا الأخير الذي يعد بمثابة الحاضنة الإجتماعية لأي تغيير أو مشروع. لأن نجاح هذا الأخير مرهون بمدى تقبل أو رفض المجتمع له، فإذا استنار به احتضنه دافع عنه ومثل منطلقا للإصلاح و البناء، أما إن لم يحتضنه فمآله الزوال. فقد كان يتساءل الإمام الإبراهيمي عن "إمكانية بناء « فلسفة تعليمية خاصة» خصوصية الشخص والوضع !وإمكانية وضع مشروع للتربية، صلب أرضيته، متكافئ في عناصره ومتكامل في وسائله وغاياته."[4] فالوصول إلى "بناء فلسفة او تحديد سياسة واضحة لإيقاظ وعي الأمة يتطلب قراءة تأملية لواقع المجتمع، ودراسة شاملة لكل عناصر هذا الواقع، وتتبع الأحداث التي مرّت وتمر بها الأمة. [5]

المُستقبلية: هي تلك النظرة الإستشرافية للمستقبل. نظرة لما يجب أن يكون (كأهداف وغايات) ولما قد يكون (كمفاجآت) – إذا لم تواتي ظروف التطبيق أو عُرقِلت – أي أن المنهج التربوي يتضمن رؤية وبرنامجا للمستقبل إنطلاقا من الواقعية التي اتسم بها كمنطلق. أي

[1]– عبد القادر فضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص42، 43.
[2]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج3، ص209، 210.
[3]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج5 (1954-1964)، ص280.
[4]– علي زيكي، فلسفة التعليم عند الشيخ البشير الإبراهيمي، البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، مرجع سابق، ص324.
[5]– عبد القادر فضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص45.

أن المنهج يتضمن تصورا مسبقا لكيفية العمل مهما كانت الظروف التي يمكن أن يصادفها والتي كانت محل توقعات مسبقة. وبتعبير آخر فإنه يمتاز بالعصرية مرتبطا بما قدمته الحضارة المعاصرة من منتجات على الرّغم من خصوصية الظّرف حتى يتم استثمارها في اقتصار الوقت والجهد لتحقيق نتائج أفضل.

فلم يعلّق آمال الأمة بالأوهام والأحلام والخيال، فالخيال أوّله لذة و آخره خبال، إنما كان يستشرف النتائج، موظفا قاعدة النظر في مآلات الأفعال، وقاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، وهو في هذا يصدر عن عقلية مقاصدية اتّسمت بها مدرسة الغرب الإسلامي و تراثها الفقهي المالكي.[1] والتأسيس لمنهج تربوي لا يكون إلا بتظافر الجهود وتناسقها، ما يفتح آفاقا بعيدة ويكمل وجهات النظر، فالمشروع التربوي للإمام الإبراهيمي هو محصلة نشاط علمي جمعوي بصفة عامة، وتتمة للمشروع الذي بدأه مع الإمام ابن باديس. إذ يصرح الأستاذ محمد الغسيري في مقامة رثاء ابن باديس مبرزا دور وجهود الإمام الإبراهيمي في ذلك قائلا: «من أعلى ما امتاز به أستاذنا الجليل، ورئيسنا الأكبر محمد البشير الإبراهيمي من شرف الخلال، (نكران الذات) فهو لا يزال يعمل الأعمال التي تعجز عنها الجماعات، وتنوء بها العصب، وهو مع ذلك لا ينسب الفضل إلا لإخوانه ورفقائه الأموات والأحياء إذ يصرح بذلك في خطبه الدينية، ومحاضراته الجامعية، ويقول: إن كل فضل في هذه الحركة العلمية النامية يرجع إلى جمعية العلماء، وإنه لولا جمعية العلماء لما كان هو. ونحن أبناؤه نشهد، وإخوانه يشهدون أنه لولا علمه ولسانه وصبره وتأثيره الذي يشبه السحر لما كانت جمعية العلماء...»[2] ويمكن استخلاص واختزال أسس منهجه التربوي في العناصر التالية:

4. 1. التوعية و التنوير منطلقا

المقصود بالتوعية تبصير الجزائريين بالجانب الذي تؤديه المعرفة والعلم في تحرير الشعوب والنهضة بها وبناء الإنسان، من خلال بعث أمل الشعب في التحرر والحياة، وبذلك وجب نشر الوعي بحق الشعب في الحياة، الحياة التي حرمهم منها المستعمر من جهة، وتوعيتهم من جهة أخرى بضرورة التربية والتعليم ومحاربة الجهل والأمية . ودور ذلك في بعث حركية ودِينَامِيكية المجتمع للارتقاء به. فهي توعية تشمل الفكر ولها أثرها على النفس، إذ عندما تعي الذات دورها والوظيفة المنوطة لها، الهدف الذي يمكن تحقيقه فإنها تشعر بنوع من الرضا والتقدير الذاتي مما يدفعها لاستكمال المشروع الذي بدأت به.

ويتبين اعتماد الشيخ الإبراهيمي على التوعية كعنصر فعال في منهجه التربوي من خلال التقرير الذي قدمه عن الأمية في أحد مؤتمرات جمعية العلماء، مبينا أن التوعية هي بداية الطريق للقضاء على الأمية والجهل وبذلك وجب أن تكون منطلقا لعمل الجمعية وأسلوبا يتقرر اعتماده، وبذلك يتمهد ويتيسر انجاز العمل الباقي. إذ يقول: « أول ما يجب أن تبدأ به هو تقديم وتوجيه نصائح عامة ونداءات صارخة تستفز بها شعور الأمة، وتثير نَخوتها وحماسها لتحمل على الأمية بِقَضِّها وقَضِيضِها حملة صادقة، وأقل ما يكون لهذه النصائح من التأثير أن تهيئ الأذهان وتشرع الطرق وتجعل لنا من الخامل الكسلان عونا على نفسه.»[3] فقد كانت التوعية في نظر الشيخ الإبراهيمي

---

[1]- محمد بو عبد الله، النزعة النقدية عند الإبراهيمي، العلامة محمد البشير الإبراهيمي وآفاق الحداثة-سؤال التنوير- إشراف وتقديم محمد الصادق بولام، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، 2016، ص338.

[2]- ينظر مقامة في رثاء الإمام ابن باديس- تقدمة لها بقلم الأستاذ محمد الغسيري- (مناجاة مبتورة، لدواعي الضرورة. نشرت في العدد76 من جريدة البصائر سنة 1949م.) محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 652.

[3]- محمد البشير الإبراهيمي، تقرير الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي عن الأمية، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص76.

كما هي في نظر جمعية الإصلاح منذ نشأت تقوم على فهم الدين فهما صحيحا، بحيث تنشئ مسلما سليم العقيدة، صحيح العبادة، مستقيم السلوك، عزيز النفس، قوي الجسم، حر الإرادة، مستنير العقل، مُحبًّا للخير غيورا على أهله ووطنه ودينه. عالما بمن هو صديقه ومن هو عدوّه.[1]

أما بالنسبة للتنوير فإنه يتجه إلى العقل وتحريره من تلك الأوهام والأصنام التي قيدت العقل الجزائري بفعل الإستدمار وما خلّفه من مِخيال جماعي أو فردي لدى أفراد الشعب الجزائري. أو استيلاب العقول و إيهامها إما بنيل حقوق، منح التحرير لها إلى غير ذلك من الوعود التي كذّبتها وقائع التاريخ. إضافة إلى تحرير العقل الجزائري من بعض الأوهام التي عشّشت في الذهن الجزائري بفعل بعض الطرقيين الفاسدين في منهجهم ، الذين وظفهم الإستعمار لخدمة مصالحه كتجار للدين ومروجين للخرافة بين أواسط المجتمع الجزائري بستار ديني وكأنها قدر إلهي وجب تقبله . فمثلوا بذلك مِعوَل هدم يوظفهم المستعمر متى وأين سنحت له الفرصة أو واتته مصلحة. فطالت أيديهم بذلك إلى العبث بالدين ومقدساته وتعطيل فاعليته وتأثيره في الأرواح. و هو ما يبينه الإبراهيمي بالصورة التي غدا عليها الدين والممارسات الدينية لديهم بقوله: «اختلّت العقائد ولابسها هذا الشوب من الخرافات والمعتقدات الباطلة ... واختلّت العبادات فَخَوَت النفوس من تلك الآثار الجليلة التي هي سر العبادة والتي هي الباعث الأكبر على الكمال الرّوحي، وختلت الأحكام فانتهكت الحرمات واستبيحت المحرّمات.»[2] فالتنوير الذي يمارسه الإبراهيمي هنا تنوير عقلي وديني يحرر الإنسان من مختلف العلائق والأوهام التي اكتنفته أذهان بعض الجزائريين أوعمل المستعمر وعملائهم من تجار الدين على ترسيخها لدى البعض.

يعتبر محمد زرمان أن التنوير هو الشق الثاني من العملية التربوية بعد عملية التحرير، إذ يتكفل بمهمة البناء، ومعناه غرس القيم الفاضلة والأفكار النيرة في الإنسان، بعد تخليصه من الجوانب السلبية، وهي عملية تقتضي الصبر والمصابرة، وطول النفس وحسن الإعداد وفعالية الوسيلة.[3] والتنوير في منطلقه وأساسه عمل تحرري، يحرر الفرد الجزائري من صنم المستعمر، استلابيته له وأيديولوجيته المقيتة.

يرتبط التنوير في أساسه بالتوعية لذلك فهما عبارة عن ممارسة واحدة في الأصل. و إن كان هناك تمييز بين التوعية والتنوير. فمن منطلق أن التوعية ارتبطت بالثقافة العربية الإسلامية، أما مصطلح التنوير ارتبط بعصر التنوير وفلاسفته في أوروبا. فلا يكاد يكون الاختلاف إلا لغويا في أصله. بالرغم من أن التنوير في أوروبا ارتبط بالعقل والحرية أكثر، مانحها إياهما قدسية لا يُعلَى عليها، بخلاف التنوير الذي نجده عند جمعية العلماء و لدى الشيخ الإبراهيمي فهو تنوير ديني وعقلي هادف إلى تصحيح العقيدة، تحرير العقل والأرض، فهو يرتبط بقدسية الدين الصحيح الخالي من الشوائب. وقدسية العقل والتفكير السليم الرافض للخرافات، للأوهام وظلالها على حياة الفرد. تنوير يهدف إلى التأسيس لدين وعقيدة صحيحة. التأسيس لعقل مقدس مقابل عقل مُندّس بالأباطيل الدينية والخرافية التي عمل المستعمر على صناعتها حتى يكرس لدى الشعب الجزائري القابلية للإستعمار فيستكين له.

---

[1]- يوسف القرضاوي، مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، الجزائر، قصر الثقافة، 13و 14 ربيع الثاني1426هـ الموافق ل 22و 23 مايو 2005م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، س 1427هـ- 2006م، ص 77.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص133.

[3]- محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الفكر الإسلامي الحديث، معهد الدعوة وأصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، 1995/1994، ص164.

ويبين عبد القادر بوعرفة الفرق بين التنوير لدى مفكري الإصلاح ورواد التنوير الأوروبي. كون أن النظرة الإصلاحية تشترك مع النظرة التنويرية في عصر النهضة الأوروبية، بيد أن الفارق المهم في المعادلة أن خطاب التنوير الأوروبي كان ضمن بيئته وثقافته وسلطته، أما الخطاب الإصلاحي الجزائري كان خطابا غريبا لأنه نشأ ضمن جغرافيا مُسْتَحمرة، وسلطة غاصبة وثقافة مستلبة. لكن رغم تلك المفارقة التاريخية حاول الخطاب الجزائري من خلال أعلامه أن يضع مسألة التنوير من قضاياه وغاياته.[1] هذا ما يظهر من خلال الهبّة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين ومشايخها من أجل توعية، تعليم وتربية أفراد المجتمع.

إذ يبين الإبراهيمي أن المنطلق التوعوي والتنويري في منهجه التربوي والإصلاحي هو ما عملت من أجله جمعية العلماء المسلمين كمنطلق أول لتحرير المواطن الجزائري روحا، عقلا وبدنا ومنه تتحرر مختلف جوانب شخصيته وبالتالي كينونته ككل إذ يقول في ذلك: « أول يد بيضاء لها في هذا الباب تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، وإن تحرير العقول أساس لتحرير الأبدان، وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا.»[2] فتعد التوعية والتنوير بمثابة تهيأة مسبقة للعقل، للعقل الفردي والعقل الجماعي. العقل الفردي حتى يغير كل إنسان من ذاته على الأقل. فمنطلق الوعي الجماعي هو الوعي الذاتي، فإذا استنار العقل الفردي استنار العقل الجماعي. وإذا توعّى الضمير الفردي توعّى الضمير الجمعي. أما التنوير والتوعية العامة فهي ما تُوحِّد الرؤى وتفتح الآفاق للعمل. من خلال احتضان الخطاب الإصلاحي والتربوي والعمل على تحقيقه. وهو ما يتمثل في قول الإبراهيمي مبينا ما تمكنت الجمعية من تحقيقه كمجاوزة مختلف الصراعات وبناء لُحمة وطنية: « فبذلك التحرير الذي كان أساسه توحيد الله تمكنت الجمعية من توحيد الميول المختلفة والمشارب المتباينة، والنزعات المتضاربة، و بذلك التحرير أيقظت في الأمة قوة التمييز بين الصالح من الرجال والمبادئ...وبذلك التحرير أراحت الأمة من أصنام كانت تتعبدّها باسم الدين وباسم السياسة، وبذلك التحرير زرعت البذرة الأولى لما يسمى الرأي العام في الجزائر، وتكون الرأي العام بمعناه الصحيح هو بلوغ الرشد بالنسبة للجماعات.» [3]

2.4.النقد كأساس للبناء التربوي والتعليمي:

2.4. 1. انتقاد الأساليب القديمة في التربية والتعليم العربيين: إضافة إلى التوعية والتنوير الذي توجه به الشيخ بشكل عام إلى مختلف شرائح المجتمع، مركزا على الجانب الديني من جهة والتوعية بأهمية التربية والتعليم. فإن منهجه يتضمن أساسا آخر بحيث ينتقد النظام التعليم بأساليبه القديمة داعيا إلى ضرورة تجديده، كما يفضح التعليم الفرنسي وغاياته. فقد انتقد الطرق القديمة والأساليب الرثة التي كانت تعتمد في التدريس، وكذلك البرامج التي لم تكن مسايرة للتطور الحاصل، ولا تراعى فيها ظروف المتعلمين ومكونات شخصياتهم، والتي كانت قائمة على التلقين والتسليم للمعلم أو المقررات الدراسية، وقد توجه بنقده إلى الطرق التي كان يقوم عليها التعليم في الزوايا، وبعض مدارس التعليم العربي الحر، وقد انتقد بالخصوص مناهج الزيتونة في التربية والتعليم والتي كان خرّيجوا المدارس الجزائرية يواصلون دراساتهم العليا فيه.

فقد كان الأسلوب العلمي القائم على التلقين، معتمدا في كثير من المؤسسات التعليمية، الأمر الذي دفع بالإمام الإبراهيمي إلى الدعوة بضرورة إقامة إصلاح علمي يشمل مختلف جوانب ومكونات هذا الأسلوب التعليمي، وعيا منه بالآثار السلبية التي خلفتها على تربية

[1] – عبد القادر بوعرفة، الشيخ البشير الإبراهيمي بين مطلب التنوير وحلم التثوير، العلامة محمد البشير الإبراهيمي وآفاق الحداثة، مرجع سابق، ص296.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص56.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج3، ص56.

الأجيال، فدعا إلى ضرورة إصلاح مناهج التدريس القديمة المعتمدة في مدارس التعليم العربي الحر، كونها مناهج قد تجاوزها الزمن.[1] وبذلك فقد وقف على عدة عناصر وقضايا أساسية داعيا إلى وجوب تغييرها وإصلاحها. ومن أهم هذه القضايا هو نقده للتقليد في مجال التربية والتعليم خصوصا وفي مجالات أخرى، فالتقليد لم يبق مقتصرا على بعض شؤون الحياة إنما امتد ليشمل طرق التعليم والمناهج التعليمية، فأصبح كل ما يقوم عليه التلقي والجمود، وعدم التجديد، إذ « ما زلنا نبرأ بجامعاتنا أو – جوامعنا التاريخية – أن تبقى جارية على التقليد البالي في مناهجها وكتبها، وأن ترضى لنفسها هذا الجفاف...وهذا التَمَطي في العصر المسرع، وما زلنا نرجوا له مخلصين إصلاحا شاملا، يعقبه إصلاح كامل، يبتدئ ذلك الاصلاح من الكتب وينتهي إلى العقول ويجرف ما بين الطرفين من أوضاع من النظم بالية، وأوساخ من الأذهان عالية.»[2] بل إن التقليد الذي كان عليه القدماء كبعض المدرسين وأئمة المساجد وبعض الطرقيين، دفعهم إلى غلق باب الاجتهاد، فحرموا غيرهم من التفكير، والانتقاد، إذ لا يستطيعون الإفادة من التطور الحاصل في العالم الخارجي، فيبدلوا الموازين ويطلعوا على المفاهيم الجديدة، فالتغير الحاصل في الحياة لم يمسهم بل ظلوا في جمودهم.[3] وهذا ما يظهر في مخاطبته لعلماء الزيتونة قائلا: « فإذا اطمأن بعض أصدقائنا وإخواننا من علماء الزيتونة إلى بقاء ما كان على ما كان، فليعلموا أن من ورائنا من الزمن سائقا عنيفا...وأن بين أيدينا ودائع شباب متطلع إلى الكمال، تواق إلى السبق حريص على دقائق عمره أن تنفق إلا فيما ينفق...وفرضت عليهم الحياة أن يأخذوا الكثير من العلم.»[4]

وإن هذا التقليد والتلقين يكون انعكاسه في قلة تحصيل العلم، وكثرة ضياع الوقت في وقت كان الوطن في أشد الحاجة للمعلمين والمتعلمين، ومن آثاره أيضا أن هذه العلوم التي تدرس لم تكن تتماشى غالبا وحاجات العصر، الواقع والوضع من علوم ومعارف، فمن المعروف « أن خصائص المناهج التربوية الحديثة أنها تلقن الكثير من المعلومات، وتعلم الغزير من المعارف، في زمن قصير وبجهد يسير، ومناهج الزيتونة وما يماثلها، ويضطرب تحت كوكبها، إنما كانت تلقن القليل من المعلومات، والتافه من المعارف في معظم الأطوار في زمن طويل، وبجهد عضلي يضني حتى يفني، ويعوز ولا يغني.»[5] إضافة إلى أن التربية المعتمدة ليست لها أهداف بعيدة المدى تسعى لتحقيقها مستقبلا، فهي غالبا ما تكتفي بإعداد المتعلمين إلى القيام بوظائف معينة خصوصا فيما يتعلق بالوظائف الدينية. « وما زالت هذه الوظائف المقيدة قيدا للنبوغ، بل مدفنا للعبقرية، تنزل المواهب منها بدار مضيَعة، وكم من عبقرية أطفأها التشوق إلى الوظيفة قبل الوصول إليها، لأن ذلك التشوق يدور بصاحبه في الدائرة الضيقة التي توصل إليها، لا في الدائرة الواسعة التي يشرف منها على آفاق العلم وعوالمه.»[6]

ومما انتقده الإبراهيمي أيضا الصلة التربوية بين المعلم والمتعلم والتي كانت قائمة على نوع من التسليم الأعمى والتلقين دون روح للمناقشة أوالنقد والإبداع فقد كان المعلم يسلم لما هو موجود في الكتاب، وكان الطالب يسلم ويتلقى ما يقول معلمه، والعلاقة القائمة

[1] – بيبي مرزاق، الفكر التربوي عند محمد إقبال وحمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص134، 135.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، 409.

[3] – عبد المالك مرتاض، الموسوعة التاريخية للشباب محمد البشير الإبراهيمي1889-1965، منشورات وزارة الثقافة والسياحة،مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1984، ص29، 30.

[4] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص550.

[5] – عبد المالك مرتاض، الموسوعة التاريخية للشباب، المرجع السابق، ص32، 33.

[6] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص550، 551.

بينهم تقوم على التلقين والتسليم، «فكان الشيخ يسلم لكتابه ما يقول، وكان الطالب يسلم لشيخه ما يقول، فكانت الصلة البيداغوجية قائمة بين هذه الأطراف الثلاثة على شيء من الانصياع الأعمى...فلا الشيخ كان قادرا على مناقشة كتابه الذي كان يستمد منه معارفه التي يبثها بين طلابه، ولا طلابه نتيجة لذلك، كانوا قادرين على مناقشة شيخهم فيما يقرره لهم من تلك المعارف الممجوجة، فكان الجمود الفكري هو السائد في التعليم الأصلي في الجزائر قبل ظهور الحركة الإصلاحية.»[1] ومن نتائج هذه التربية والتعليم في هذه المدارس القائمة على التلقين، الرافضة للنقد البناء، ولا للدخول في معترك الحياة أنها «كانت تخرج فقهاء لا مفتين، أو وعاة فقه لا أصحاب اجتهاد في الفقه وأصوله، كما كانت تخرج حفظة لقواعد النحو، لا مثقفين يفيدون مما تعلموه من هذه القواعد فيقع الربط بين القاعدة والنص، فتعم الفائدة.»[2] وتبعا لما سبق تتضح رؤية الإبراهيمي ودعوته الصريحة بأن يكون التعليم لأهداف مرسومة مسبقا، تتجاوز هدف الحصول على الوظيفة، أوبهدف الحصول على العلم فقط دون أن يكون للمتعلم ومعلمه هدف تغيير الواقع. ولإصلاح هذا الواقع المتردي للتربية والتعليم، ومراقبة عملية التعليم، وسعيا للتجديد وإيجاد أفضل الطرق وأنجعها اقترح الإبراهيمي وسيلتين تتبعها الجمعية في الإصلاح العلمي:

أولهما: مؤتمر سنوي يعقد بالعاصمة العلمية قسنطينة يحضره كل القائمين بالتعليم من أعضائها العاملين، فتتبادل الآراء وتتلاقح الأفكار وتستفيض المباحث عن أصول التربية والتعليم وأقوم طرائقها، وعن الأساليب والكتب التي تجمع بين العلم والعمل، وسيكون من نتائج هذا المؤتمر توحيد التعليم، وهو الرغبة التي لم تزل مناط آمال المصلحين بهذا الوطن.

ثانيهما: عكاظ سنوي تقيمه في مدينة الجزائر على أثر اجتماعها العام، وتمتد أيامه إلى ما فوق الأسبوع، ويلقي كل أعضائها العاملين محاضرات ليتمرنوا على الخطابة في مواضيع الدعوة والإرشاد. ويعمل المجلس الإداري لوضع نظام مفصل لهذين المؤتمرين.[3]

4. 2.2. انتقاد التعليم الفرنسي وفضحه: أدرك الإبراهيمي أن التربية والتعليم هما أفضل أداة لمواجهة الاستعمار، إذ لا تتم المقاومة « لمثل هذه الهجمة الشرسة، ولا يكتمل الدفاع عن الشخصية الوطنية الجزائرية التي أراد لها الاستعمار المسخ والتشويه والإقصاء والإبادة إلا بالتربية والتعليم.»[4] تناول الشيخ الإبراهيمي بشكل مفصل كل ما قام به الاحتلال ورمى إليه من خلال تعليمه الفرنسي، وكذا في محاربته للتعليم العربي، وعرقلته لمختلف جهود العلماء والمصلحين في ذلك وكل من أراد إنشاء مدرسة للتعليم، من خلال مقالاته في جريدة البصائر بعنوان التعليم العربي والحكومة.

فقد كان يرمي إلى أهداف معينة وهي القضاء على مقومات الشخصية الوطنية، هادفا إلى التنصير، الفرنسة والإدماج، لذلك كان موقف الإبراهيمي منه الرفض غالبا، نظرا لغاياته الاستعمارية، ورغم ذلك اعتبره ومن وجهة أخرى أنه يدخل في مجال الثقافة التي يستزيد منها الجزائري، فاعتبره « بابا من أبواب الثقافة، وسلاحا من أسلحة الحياة»[5] شرط أن يكون إعداده في طفولته قويا، فلا يؤثر ذلك التعليم على شخصيته وأصولها. وهنا يحضرنا رأي ابن خلدون الذي يوصي بالتركيز على القرآن والسنة في مرحلة الطفولة الأولى تحصينا لشخصية

[1] – عبد المالك مرتاض، الموسوعة التاريخية للشباب، المرجع نفسه، ص27.

[2] – عبد المالك مرتاض، الموسوعة التاريخية للشباب، المرجع نفسه، 38، 39.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص145.

[4] – مجلة الموافقات، ع4،س4، جوان 1995م، ص700، نقلا عن بيبي مرزاق، الفكر التربوي عند محمد إقبال والبشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص103.

[5] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص229.

الطفل من التأثر بمختلف الأفكار التي يتعرض لها مستقبلا. وذلك لأن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده.[1] فإذا رسخت لدى الطفل الجزائري مقوماته الوطنية فإنه لن يأخذ من التعليم الفرنسي إلا ما يفيده فقط.

وقد كان ما يلقن من برامج للجزائريين يجري في أوقات قليلة مقارنة بنظرائهم الفرنسيين، فكان المستعمر بهذا التعليم يصدهم عن المدارس العربية الحرة، ونظرا لانتشار التعليم العربي توجه المستعمر إلى إقامة بعض المدارس الفرنسية الموجهة لتعليم الجزائريين أو تخصيص بعض الأوقات لتعليمهم من أجل مواجهة التعليم العربي لا غير، ومن أجل مواصلة سياسة التجهيل التي بدأتها، غير أن هذا التجهيل يتخذ من التعليم وسيلة له، وكأنه يقوم على شعار تعلم لتجهل، تعليم يهدف إلى التجهيل، يقول الإمام الإبراهيمي عن ذلك التعليم والبرامج: «تشغلهم بتعليمها عن تعليمنا، وتعطلهم عن تعليم مفيد بتعليم ناقص لا يؤهلهم لشيء من طرق الحياة ووسائلها...وأين كانت هذه الحكومة بالأمس القريب يوم كان تسعون في المائة من أبنائنا يهيمون في أودية الأمية؟...إنها كانت بالأمس أقدر على التثقيف العام...ولكنها كانت مغتبطة بحال المسلم من الجهل والأمية، وكانت تمهد لها سبيلها، وكانت تتمنى أن لا يفتح عينيه على العلم، وأن لا يفتح عقله للعلم، فلما أفاق من غفوته... وأقبل على العلم جاءت تخادعه بهذه البرامج.»[2]

فقد عمل المستعمر على فرض تعليمه الخاص به، فبعد أن أخذت الكتاتيب العربية تزول تدريجيا بفعل السياسة الاستعمارية، حاول تعويضها بالمدارس الابتدائية، غير أنها لم تكن إلا للقلة القليلة من الجزائريين. ثم إن التعليم في هذه المدارس لم يكن قوميا ولا وطنيا ولا دينيا إسلاميا، بل إنهم كانوا يدرسون تاريخ الغالِيين وعظماء الفرنسيين، وهذا التعليم أقامته بهدف القضاء على الثقافة العربية والتراث القومي.[3] فقد كانت مدارسهم من نوع خاص تعد تلامذتها لتسهيل وظائفها الاستعمارية خصوصا الإدارية منها، لا بهدف تعليم الجزائريين، ولإنشاء جيل منقطع الصلة مع ماضيه إذ يبين الإبراهيمي: «خصائص المدرسة الفرنسية في تخريج تلامذتها أنها لا تجري على منهاج المدارس العلمية ... هذه المدرسة الاستعمارية تهيئ تلامذتها أو مريديها للشر، وتروضهم عليه في حال تطول قليلا أو تقصر جدا، على نسبة استعداد التلميذ، وإنما تروض نفوسهم على الشر بالجملة، فإذا جاء دور التفصيل لم يعجزها أن تلبس الفاتك منهم لباس الناسك، وتقلد الراعي وظيفة الداعي، وتسم الخلي بسمة الولي، وتحرّك لسان الماكر بورد الذاكر.»[4] ويبين أن المتعلمين أنفسهم يدركون تناقض ما يدرسونه مقارنة مع قيم ومقوّمات هويتهم، ويبرز كيف سيؤثر ذلك التعليم تدريجيا عليهم فيؤدي إلى احتقار الثقافة المحلية، والنفور من التربية الإسلامية التي اعتادوا على تلّقيها في أسرهم، بحجة مخالفتها لما يتلقّوه من حقائق مدعمة بدلائل في المدرسة الفرنسية، التي تعمل على إقامة شرخ هوياتي بين الفرد ومجتمعه تمهيدا لعملية فرنسته، بل وانفصام ذاتي لدى المتعلمين. « ذلك أن الناشئ في هذه المدارس اللائكية يحس من أول أيامه في التعليم بمنافرة ما يتعلمه في المدارس من حقائق الكون مثلا لما تعود سماعه من أهله، ثم يزداد ما يسمعه في المدارس رسوخا في نفسه بما يقام عليه من الدلائل فيزداد على قدر ذلك نفورا من كل ما يسمعه من أهله، ثم ينقلب ذلك النفور منهم ومما يسمعه منهم احتقارا لهم وله، ولكل ما يلابسهم من عوائد وأزياء حتى ينتهي به الأمر إلى الدين.»[5]

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص588.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص249.

[3]- عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1931-1954، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2009، ص42.

[4]- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص414.

[5]- محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج1، ص194.

ويصرح أحد المسؤولين الفرنسيين عن الهدف من التعليم في الجزائر عام 1908م: " ليس من الكرم والجود في شيء أن ترغب الجامعة في نشر العلم في القبائل بل دعونا نقولها صريحة ونطلقها مدوية: أن ذلك في صالح فرنسا وحدها وهو ما نضعه دائما نصب أعيننا وقد أضفى على تعليمنا طابعا خاصا. كما أضفى على برامجنا طابعها الراهن، وأنه من الأهمية بما كان أن نبث في أذهان الأهالي فكرة رفيعة ونقية عن وطننا، وذلك بتلقين تلاميذنا دروسا عن عظمة فرنسا وجيشنا وثروتها، تتناسب و أعمارهم كما تتفق ودرجة ثقافتهم."[1] فالمدارس الفرنسية لم تكن تهدف إلى رفع المستوى الثقافي للجزائريين والقضاء على الأمية، ولا من أجل مسايرة التطورات والنهضة التي كانت تشهدها المجتمعات المتقدمة في العالم. بل القضاء على الشخصية الجزائرية، وإدماج الجزائريين، فرنستهم و تنصيرهم، وتبديل أحوالهم الشخصية، ويظهر ذلك جليا في قول أحد القساوسة: "ليس الهدف من فتح المدارس الإفرنسية في شمال إفريقيا أن نكوّن عقولا مثل عقل « فولتير » أو«مونتيسكيو» أو« روسو » إن الهدف ببساطة هو أن نبدل لغة بلغة، ودينا بدين، وعادات بعادات."[2] هذا ما أدى إلى انتشار الأمية وسط الجزائريين بشكل كبير، فبعد الحرب العالمية الأولى كان حوالي 09% من الجزائريين فقط يعرفون القراءة والكتابة، وظلت نسبة الأمية في الإرتفاع لتصل حوالي 90% في سنة 1945.[3]

2.4 وسائل المنهج و أساليبه.

2.4. 1. المدرسة: يحدّد الإبراهيمي رؤيته للمدرسة مؤكدا على ضرورتها، مبينا أن حياة الأمم في هذا العصر لا تتأسس ولا تقوم إلا عليها. وهذا ما يجب أن يدركه كل من يريد الإصلاح والنهضة. ويَعِيَّهُ أفراد المجتمع الجزائري، فهي التي تحدد مسار الأجيال وطريقهم نحو الحياة الشريفة. بفضل ما تقدمه من العلوم و المعارف. فتكون بمثابة المرشد والموجه له، وأي إهمال لهذه الوسيلة يكون من عواقبه الزّلل و عدم بلوغ الغاية المنشودة. مُستدلا في ذلك بما بلغته الأمم المعاصرة من تطور وتسابقها في تطوير التربية والتعليم، والعمل على تحسين جودة المدرسة.

« فحياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، ما في هذا شك إلا في قلوب ران عليها الجهل، و غَانَ عليها الفساد، ونفوس ختم عليها الضلال، وضرب على مشاعرها المسخ وطال عليها الأمد في الرق، فصدئت منها البصائر، وعميت الأبصار فتغير نظرها في الحياة ووسائلها، فرضيت بالدّون ولاذت بالسكون. الحياة بالعلم، والمدرسة منبع العلم، ومشرَع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة، فمن طلب هذا نوع من الحياة من غير طريق العلم زل، ومن التمس الهداية إليه من غيرها ضل، وحياة الأمم التي نراها ونعاشرها صدق على ذلك.»[4] فالمدرسة هي بمثابة الحاضنة الإجتماعية الأولى التي يَنبَنِي فيها الفرد وتتشكل شخصيته. فهي تعكس استثمار المجتمعات في العنصر البشري الذي تبقى مختلف جوانب الحياة الأخرى في المجتمع ناقصة إن لم يُتمّها هو. فما فائدة المصانع إن لم يوجد العقل الإنساني الذي يوجهها؟ وما فائدة الجسم بلا قلب يبعث فيه الحياة؟ فالمجتمعات بلا مدارس هيكل بلا روح، وجسد بلا عقل. فالمدرسة صانع ومنبع الحياة في المجتمعات، فيجب التركيز على بنائها والإهتمام بها قبل التوجه إلى أشياء أخرى. إذ « تبني الأمم ما تبني من القصور، وتُشَيّد ما تُشَيّد من المصانع. وتُنسّق ما تُنسّقُ من الحدائق. وتحف كل ذلك بالسور المنيع، فإذا ذلك كله مدينة ضخمة جميلة، لكنها بغير المدرسة عقدٌ بلا

[1] – بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، الجزائر، ط2، 1983، ص35.

[2] – بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، المرجع نفسه، ص47.

[3] – ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001، ص78،79.

[4] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص258.

واسطة، أوجسم بلا قلب، وإذا ذلك كلّه إرواء للغرائز الحيوانية لا غير، وإرضاء للعواطف الدنيا بالمتع واللّذات، والتباهي وطلب الذكر. أما إرواء العقل والروح، وإرضاء الميول الصاعدة بهما إلى الأفق الأعلى فالتمسها في المدرسة لا في القصر ولا في المصنع.»[1]

فالمدرسة التي يرنو الإبراهيمي إلى تحقيقها على النقيض من المدرسة الفرنسية أدوارا ونظاما تعليميا، فهي مدرسة ذات تعليم عربي معاصر مصاحب للتطورات الحاصلة، فهي ليست المدرسة التقليدية التي تقدس الماضي وتبقى منغلقة فيه، ولا المدرسة التي تنفتح بكل جوانبها على المعاصرة أوما يعرف اليوم بالعولمة فتذوب فيها فاقدة أصالتها، بل هي المدرسة العربية المعاصرة، التي تقوم على التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، تحافظ على أصالة الشخصية الوطنية وجذورها الضاربة في التاريخ، وتنفتح في نفس الوقت على ما استجد من العلوم المعاصرة. بين ذلك فيقول: «الأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء، وتحمله نذُر الموت. والأمة تريد تعليما عربيا عليها طابعها، وفيه أثر يديها، وله مالها من روح، وعليه ما عليها من سمات.» [2]

يؤكد في مقام آخر على طبيعتها ودورها قائلا أنها « السبيل القويم الذي يؤدي إلى حفظ الجيل الجديد من هذه الشرور المتوارثة، ولتوثيق عرى الأخوة بين أفراده، وإلى توحيد أفكاره ومشاربه واتجاهاته ، وإلى تصحيح فهمه للحياة، وتسديد نظرته إليها، وتشديد عزيمته في طلبها — هو المدرسة العربية التي تصقل الفكر والعقل واللسان وتسيطر عليها، وتوجه الجيل الناشئ إلى الإسلام والعرب.»[3]وبذلك اتجه الإبراهيمي مع ثلة من علماء الجزائر يتقدمهم الإمام عبد الحميد بن باديس إلى تشييد مدارس للتعليم العربي. منقسمة إلى مدارس ابتدائية ومعاهد ثانوية أهمها معهد الإمام عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ودار الحديث بتلمسان. ويمكن تصور خصائص المدرسة الوطنية التي يحدد معالمها الإبراهيمي فيما يلي:

أولا: أن تكون ذات تعليم عربي لغة، أهدافا ومضمونا، فينسجم بذلك مع مقومات الأمة وموروثها الحضاري.

ثانيا: أن تكون التربية التعليم في وطنيا لا مستوردا، ولا تسهم في صنعه أفكار أجنبية، بل لا بد أن يكون نابعا من عبقرية الأمة، وعليه طابعها وخصوصياتها، بحيث تصنعه بنفسها ووفق إراداتها، وتضمنه الروح التي تعيش في أعماق كل فرد من أفرادها، فكأنه يريد أن يبين للحكومة الجزائرية التي ستتولى تنظيم التعليم في عهد الجزائر المستقلة أن مسؤولياتها هي تشكيل نظام تربوي تعليمي يستجيب لحاجات الأمة ويتلاءم مع خصوصياتها، ومسايرا للتطورات المعاصرة.[4]

ثالثا: أن تكون مدرسة مسايرة وشاملة للتطورات العلمية المعاصرة، أي تشمل على ما استجد من العلوم العصرية وكل ما يعود بالفائدة على الوطن والمواطن الجزائري. وبذلك نلمس لدى الشيخ الإبراهيمي ضرورة توحيد المدرسة الجزائرية لنظام التربوي التعليمي بكل جوانبه في القطر الجزائري، حتى تتوحد الرؤية والأفكار والعقول، وتحقيق الغاية المرسومة و الهدف المنشود، فهو يؤكد على ذلك قائلا أنه «لا يتم هذا على وجه مثمر إلا بتوحيد منهاج التربية وبرنامج التعليم، ولا يتم توحيد المنهاج والبرنامج إلا بتوحيد الإدارة، ولا يتم توحيد الإدارة إلا بتوحيد الإشراف العام، درجات متلازمة سبقتنا بها الأمم التي بنت حياتها على تجربة النافع... وهذه هي المعاني التي دعتنا إلى جمع المدارس العربية تحت إدارة واحدة وإشراف واحد، وإلى حشر المعلمين تحت لواء واحد، لعلمنا أن توحيد الغايات لا يأتي إلا بتوحيد الوسائل.»[5]

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج3، ص258.

[2]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص283، 284.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج3، ص274.

[4]– عبد القادر فوضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص43.

[5]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص275، 276.

4. 2.2 المسجد: يعد المسجد أحد أهم الوسائل لنشر الثقافة والتربية الإسلامية ارتبط بالتاريخ الإسلامي ووجد بالجزائر لكنه تأثر بفعل المستعمر الذي عمل على القضاء عليه، فعملت الجمعية على إحيائه، وسمي بالتعليم المسجدي لأن المساجد هي التي تحتضنه. ويعتمده الإبراهيمي كوسيلة مهمة في التربية والتعليم، يشمل الطلبة والعامة من الناس مع تفاوت في الغاية بينهما. يوضح الإبراهيمي معناه بأنه ذلك « التعليم الذي نلتزم فيه كتب معينة في العلوم الدينية من تفسير، وحديث وفقه وأصول و أخلاق، و العلوم اللّسانية من قواعد ولغة و أدب، والعلوم الخادمة للدين من تاريخ وحساب وغيرهما، ويقوم به مشائخ مقتدرون في تلك العلوم محسنون لتعليمها. و نسمّيه مسجديّا لأنه كان من فجر الإسلام إلى الآن وما زال يلقى في المساجد.»[1] ونظرا لحاجة الناس إلى رؤية الدين في المستجدات التي يطرحها الواقع والقضايا التي يثيرها تظهر ضرورة التعليم المسجدي الذي يبين موقعها من الشرع و يقدم الفتاوى والدروس اتجاهها، فيقدم حلولا لمختلف القضايا التي يطرحونها مُبقيا إياهم على اتصال دائم مع الدين الإسلامي مجددا روحه وأخلاقه فيهم. هذا ما ساعد في بقاء الدين الإسلامي وملازمته للواقع الذي يعيشه الجزائري كمسلم ومنه برزت ضرورته فهذا " التعليم ضروري للأمة الإسلامية في حياتها الدينية لأنها مفتقرة دائما إلى من يفتيها في النوازل اليومية، ويبين لها أحكام الحلال والحرام، وما بقي الإسلام محفوظا إلا بهذا النوع من التعليم الذي من أصوله تفسير القرآن والحديث النبوي."[2]

4. 2. 3. النوادي والجمعيات الثقافية: خُصّصت هذه النوادي لتلك الفئات من المجتمع الذين لم يلتحقوا بالمدارس والمساجد من أجل استقطابهم وتثقيفهم. ويغلب على هاته الشرائح فئة الشبّان الذين وجودوا في المقاهي والشوارع بآفاته مرتعا لهم فتفشّت الأمية والجهل فيهم. إذ تحمل النوادي طابعا خاصا وأسلوبا في التعليم تتمثل عموما في تنظيم العديد من المحاضرات التثقيفية والتاريخية والدينية، فبرزت ضرورة تأسيس هذه النوادي العلمية في نظر الإبراهيمي فإن كانت المدارس تحتضن الأطفال، والمساجد الكبار يتساءل الإبراهيمي عن مصير الفئة العظمى من الشباب وحظّها من التربية والتعليم. لذلك ركزت الجمعية على الفئات الثلاث في آن واحد على قدر استعدادها :« فإذا التقت بالشيوخ والكهول ورواد المساجد في المساجد، والتقت الأطفال في المدارس التي شيّدتها للالتقاء بهم فيها، فأين تلتقي بالشبّان الذين فاتتهم المدرسة والمسجد معا؟...فأنشأت مشروع النوادي لتكون وسطا طبيعيا بين المساجد والمدارس، وتلتقي فيها بالشبّان الذين هم وسط طبيعي بين الشيوخ والأطفال.»[3]

يؤكد الإبراهيمي على ضرورة مراعاة الطبيعة النفسية للشباب وما يميلون إليه، فاستثمر ذلك في الدعوة إلى تأسيس النوادي العلمية، التي تختلف في نظامها عن نظام المسجد والمدرسة نتاج تلك الحرية الممنوحة للشباب وتسييرهم لها، إذ هم من يحتلون مركز الإدارة و التنظيم فيها، وهذا من شأنه تعزيز القدرات لديهم، ويربطهم بالميدان العملي أكثر، وتحمل مسؤولية القيادة والانضباط الأخلاقي كإعداد للتحديات التي سيخوضونها في قيادة البلد مستقبلا فقد « أنشأت الجمعية في مدة قصيرة عشرات النوادي في المدن والقرى، ودعت إليها الشبّان فاستجابوا وأقبلوا عليها لأنها أقرب إلى أمزجتهم ولأن فيها شيئا من التسلية و المرح ولأن فيها قليلا من جو المقهى، وفي ظل هذه الجواذب التقت الجمعية الشبّان، وقامت بحقّ الله فيهم فنظمت لهم محاضرات تهذّب بها أخلاقهم وتعرّفهم بأنفسهم وقيمتهم ومنزلتهم في الأمة وتجمع

[1]- محمد البشير الإبراهيمي ، المصدر نفسه، ج2، ص170.
[2]- محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج2، ص170.
[3]- محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج4، ص173.

قوّتهم، ودروسا تعلمهم بها دينهم ولغتهم وتاريخهم، فكان لمشروع النوادي آثار في الشبّان تساوي آثار المدرسة في الأطفال وتفوق آثار المساجد في الشيوخ والكهول، ومن النوادي خرج الشبّان إلى المساجد يؤدّون حق الله، وإلى ميادين العمل يؤدّون واجبات المجتمع.[1]

ومن أهم تلك النوادي نادي الترقي الذي تأسس بمدينة الجزائر، ونادي صالح باي بمدينة قسنطينة الذي أصبح يعرف بنادي عبد الحميد بن باديس. والتي كانت تعني بتربية الشباب تربية خلقية ودينية ووطنية تجعلهم أحرص على مقومات الشخصية الوطنية، ويظهر ذلك في تلك التنظيمات الكشفية والثقافية والفنية التي تزيد في الرابطة الاجتماعية والوطنية بينهم. وتظهر الأبعاد والأهداف التربوية التي كانت تهدف إليها النوادي في:

- حماية الشباب من عوامل الانحراف السياسي، والفساد الخلقي والانحلال الديني خصوصا في مرحلة المراهقة.

- استغلال طاقات الشباب المتدفقة استغلالا ناجعا فيما يعود عليهم وعلى الأمة والوطن بالنفع والفائدة.

- تربية الشباب تربية عربية إسلامية حتى لا يحرفهم تيار الفرنسة و التغريب الذي كان يهدد الوطن.[2]

4.2.4 .الصحافة: للصحافة مكانتها البارزة في الوسائل التربوية للإبراهيمي فكانت منبرا لتنوير الرأي العام بضرورة التربية والتعليم، وتجسدت في تلك المقالات التي كانت تصدرها جمعية العلماء في الجرائد .وأهمها جريدة البصائر التي كان يشرف عليها البشير الإبراهيمي وتضمنت عديد المقالات التي تتطرق إلى قضايا التربية. وتدعوا الناس وتحثهم على طلب العلم، فلا زالت الصحافة إلى اليوم تحتل موقع الصدارة في التأثير على الرأي العام سلبا أو إيجابا بما تتداوله من حقائق وأخبار وقد اقتصرت في تلك الفترة على الصحافة المكتوبة. وقد أشار مبارك الميلي إلى تلك الأهمية التي تحضى بها الصحافة في العصر الحديث قائلا: « أن من أهم الخطط وأعم الوسائل لتحقيق الغايات ونشر الدعوات، إنشاء الصحف السّيارة التي تحفظ جيد الأقوال، وسديد النظريات، وتدخل بها على الطالب في مسكنه، وعلى التاجر في متجره، وعلى الصانع في مصنعه، وعلى الملإ في ناديهم، وعلى المسافرين في مراكبهم ... وما وجدت فكرة الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وجدت لها صحف تعبر بها عنها وتبشر بها وتدافع عنها.»[3] دون إغفال عدة وسائل أخرى كالاحتفالات الدينية ومختلف المناسبات، إضافة إلى الخطب و المواعظ، التأليف والكتابة فكلها مثلت أسسا يقوم عليها المنهج التربوي.

3.4 . غايات المنهج:

تحقيق الاستقلال و بناء الوطن: أهم الغايات التربوية العمل والتمهيد لبناء مجتمع جديد من خلال استقلال الشعب في دينه ولغته و وطنيته وأخلاقه. فإذا استقل في ذلك أمكن للوطن أن يوجد ويستقل بذاته. فلا استقلال لوطن دون استقلال الثوابت الوطنية. «فلا توجد الأمة إلا بتثبيت مقوّماتها من جنس ولغة ودين وتقاليد صحيحة وعادات صالحة، وفضائل جنسية أصيلة، وبتصحيح عقيدتها وإيمانها بالحياة، وبتربيتها على الإعتداد بنفسها، والاعتزاز بقوّتها المعنوية، والمغالاة بقيمتها وبميراثها، والإمعان في ذلك كله حتى يكون عقيدة راسخة

[1]- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص173، 174.

[2]- تركي رابح عمامرة، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931-1956) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص 223، 224.

[3]- محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغير عند محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص288.

تناضل عنها، وتستميت في سبيلها، وترى أن وجود تلك المقوّمات شرط لوجودها فإذا انعدم الشرط انعدم المشروط. ثم يفيض عليها من مجموع تلك الحالات إلهام لا يغالب ولا يرد، بأن تلك المقوّمات متى اجتمعت تلاقحت ومتى تلاقحت ولدت «وطنا».[1]"

ويؤكد الإبراهيمي على هذه الغاية صراحة في إطار نشاطه ضمن جمعية العلماء، حيث كان المنطلق ومبدأ العمل فيها «يرمي إلى غاية جليلة، فالمبدأ هو العلم، والغاية هي تحرير الشعب الجزائري، والتحرير في نظرها قسمان: تحرير العقول والأرواح ، وتحرير الأبدان والأوطان، والأول أصل للثاني، فإن لم تتحرر العقول والأرواح من الأوهام في الدّين والدّنيا كان تحرير الأبدان من العبودية والأوطان من الاحتلال متعذّرا أو متعسّرا."[2] فالإستقلال والتحرير الذي يرنوا إليه يشمل الوطن ببعديه المعنوي والمادي، فتحرير البعد المعنوي يكمن في التحرير التدريجي لروح وعقل الشعب الجزائري من الأوهام والأصنام التي استعمرت ذهنه. وتنقية تعاليم الإسلام مما لحقه من شوائب وبدع بفعل المستعمر وبعض الطرقيين. فإذا استقلّت العقول في تفكيرها فاهمة لمعنى الحياة وغايتها، وأشّعت مقومات الأمة في روح الشعب أحيته آن له أن ينتفض على العبودية، عاملا على تحقيق الاستقلال في بعده المادي لأنه وضع الأساس الذي يقوم وينبني عليه ويضمن له الاستمرارية. ومبدأ التحرير ومنطلقه العلم، لذلك ركزّت المنهج التربوي والمساعي الإصلاحية لدى الإبراهيمي مع جمعية العلماء على ضرورة تكوين جيل متعلّم ومحاربة الأمية التي تفشت في المجتمع.

إحياء مقومات الشخصية الوطنية و الحفاظ عليها: من أهم الأهداف التي سطرها البشير الإبراهيمي في منهجه التربوي هو إحياء مقومات الشخصية الوطنية والمحافظة عليها، ويؤكد عبد القادر فوضيل أنه من الغايات التربوية التي حرص عليها البشير الإبراهيمي الدفاع عن الذاتية الجزائرية التي هي العروبة والإسلام مجتمعين في وطن، وإحياء مجد اللغة العربية وآدابها وتاريخها، وتذكير المسلمين بحقائق دينهم وسير أعلامهم، وإحياء مجد الدين الإسلامي بتصحيح أركانه الأربعة العقيدة، العبادة، المعاملة، والخُلق.[3]

فيظهر بذلك ارتباط إحياء مقومات الشخصية الوطنية بالتأسيس لوطن وأمة لها تاريخها وأمجادها، وتسعى جاهدة لكتابة تاريخ حضاري جديد فتظهر التدرجية والمرحلية في تربيته من غايات خاصة إلى غايات عامة. والتعليم الذي يعلّم للنشء من تلاميذ وطلبة و التربية التي تكونهم وجب أن تسير نحو هذه الغاية «فغاية التعليم هي تفقيهه في دينه ولغته، وتعريفه بنفسه بمعرفة تاريخه، تلك الأصول التي جهلها آباؤنا فشقوا بجهلها، وأصبحوا غرباء في العالم، مقطوعين عنه، لم يعرفوا أنفسهم فلم يعرفهم أحد.»[4]

تحرير العقل: يهدف المنهج التربوي للإبراهيمي على تحرير العقل الجزائري وروحه من خلال التركيز على البعد الروحي والعقلي في التربية ثم الانتقال الى الجانب المادي، وهذا ما يظهر في الثورة التحريرية سبقها الإعداد النفسي والعقلي بتربية الأجيال على ثقافة التحرر و الثورة، لذلك كان عمل الإبراهيمي في إطار جمعية العلماء منصبا على ذلك. يحدده في قوله: «أول يد بيضاء لها في هذا الباب تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، وإن تحرير العقول أساس لتحرير الأبدان، وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا.»[5]

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص64.
[2]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج4، ص343، 344.
[3]– عبد القادر فوضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص43.
[4]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص275.
[5]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج3، ص56.

فإذا كان هدف الرؤى الإصلاحية والجهود الثورية تحرير أرض الجزائر التي هي بمثابة بدن لأبنائها، لا بد أن تكون الانطلاقة من تحرير العقول وتنويرها، فيدرك الفرد حقيقته ومقوماته، ويميز بين الصالح لقيادته و المدمر لكيانه، مما يساهم في توضيح الطريق الذي يؤسس به لحضارته، و الذي يكون منطلقه التوحيد، انطلاقا من توحيد الله و الدين إلى توحيد الرؤى و التوجهات المختلفة فكريا، سياسيا واجتماعيا فبذلك «التحرير الذي كان أساسه توحيد الله تمكنت الجمعية من توحيد الميول المختلفة والمشارب المتباينة، والنزعات المتضاربة، وبذلك التحرير أيقظت في الأمة قوة التمييز بين الصالح من الرجال والمبادئ ... وبذلك التحرير أراحت الأمة من أصنام كانت تتعبّدها باسم الدين وباسم السياسة، وبذلك التحرير زرعت البذرة الأولى لما يسمى الرأي العام في الجزائر، وتكون الرأي العام بمعناه الصحيح هو بلوغ الرشد بالنسبة للجماعات.»[1] ومنه فتحرير العقل ينير طريق التحرر العام ويرسمه، فيتم التوصل إلى رؤية مفيدة للصالح العام أوما عبر عنه الإبراهيمي بتكوين الرأي العام من خلال استقاء الآراء، فتزول الحزبية والتعصب ويتشكل وعي جماعي راشد اتجاه المشكلات المطروحة.

تحرير الفكر الإسلامي من البدع والخرافات فامتزج الفكر الإسلامي في الجزائر على غرار ما في البلاد الإسلامية الأخرى بكثير من البدع والخرافات، واختلط بنوع من الأفكار الطرقية في الجزائر، وأدى ذلك إلى انحراف في فهم الدين، فقد أصبح الدين مشوبا بالخرافات المخزية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، كعبادة الأولياء والأضرحة، والتي استغلت من طرف بعض المشايخ إما جهلا و إما لمصالح معينة.[2] قد كان تحرير الدين بفضح رجال الطرقيين وتبيان بطلان كثير من الطقوس التي اعتبرت عبادات عن طريق العادات، أو من خلال "تَعَوُّد المنكر حتى يصير معروفا ... وهذه علتنا فيما فشى بيننا من بدع ومنكرات وضلالات، يسكت عليها الأول فتصير عادة، وتستحكم فتصير سنة، وتتكاثر أنواعها فتغطي على الدين الصحيح."[3] فمن غايات المنهج التربوي تصحيح عقيدة الجزائريين وتحرير الفكر الإسلامي من الممارسات والانتهاكات البشرية له وفقا للمصالح الشخصية او الاستعمارية. ولن تتحقق هذه الغاية إلا بإحياء الدّين الإسلامي، والاهتداء بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فالدين يعتبر مقوما أساسيا في الشخصية الوطنية

تصحيح نظرة النشء إلى الحياة و توحيده في أفكاره. من الغايات التي يرنو الفكر التربوي الإبراهيمي إلى تحقيقها أو ما يصطلح عليه بتعبيره الخاص «غاية الغايات» من التربية ويعبر عنها قائلا "غاية الغايات من التربية هي توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظرته إلى الحياة، ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه، إلى مضطرب أوسع منه دائرة، وأرحب أفقا، وأصح أساسا، فإذا تم ذلك وانتهى إلى مداه طمعنا أن تخرج لنا المدرسة جيلا متلائم الأذواق، متحد المشارب، مضبوط النزعات، ينظر إلى الحياة –كما هي– نظرة واحدة، ويسعى في طلبها بإرادة متحدة، يعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة، في اتجاه واحد."[4]

هذه أهم الغايات التي يتضمنها المنهج التربوي للإمام البشير الإبراهيمي، وهي تسعى أساسا إلى تحرير الفرد الجزائري والبلاد الجزائرية روحا وجسما، ونفض غبار الانحطاط والتخلف الذي تعيشه الدول المسلمة والعربية التي عانت من ويلات الاستعمار وتعاني منه اليوم ومن مخلفاته. إضافة إلى غايات أخرى يمكن استخلاصها والتوسع فيها كتوسيع الأفق الفكري للأجيال، تحقيق الوحدة الوطنية...وغيرها.

6. خاتمة:

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج3، ص56.

[2]– تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق ص440، 441.

[3]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص152.

[4]– محمد البشير الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج3، ص275.

نؤكد في خاتمة الموضوع على ذلك التكامل بين الأسس التي قام عليها المنهج التربوي للشيخ الإبراهيمي، وعمله على تجسيده واقعيا رغم خصوصية الظرف المتأزم الذي عاشته الجزائر آنذاك، منطلقا من تحديده لكل من مفهومي التربية والتعليم وضرورتهما معتبرا إياهما الأساس الأول في الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية تحقيق استقلال الجزائر. وتظهر فعالية طرحه في كون العديد من تلاميذ الجمعية وتلاميذ المدارس العربية شكلوا شعلة وقادة في ثورة التحرير الوطني ويمكن تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

أولا: إن المنهج التربوي عند الإبراهيمي تأسس من خلال التركيز على الاستثمار في العنصر البشري، من خلال العناية الكبيرة بتربية وتعليم النشء. وتركيزه على تربية الفكر وتحرير العقل فهما سبيل الخلاص من مختلف القيود التي كبلت الفرد الجزائري عقليا وواقعيا.

ثانيا:جمع المنهج التربوي عند الإبراهيمي بين الواقعية والمستقبلية، إذ لم تكن رؤيته التربوية ظرفية تتناسب مع راهنه فقط، إنما تضمنت رؤية استشرافية تمثلت في بناء جيل جديد يؤسس لدولة جديدة قوامها العدل والحرية، وهو ما اتضح جليا مع الغايات التربوية في منهجه.

ثالثا: جمعت رؤية الإبراهيمي التربوية بين سِمتي الأصالة والمعاصرة، من خلال عمله على ترسيخ مقومات الأمة المتجذرة في التاريخ من جهة وربط منهجه بمستجدات العلم والحياة المعاصرة.

إضافة إلى ذلك نستخلص أن رؤيته التربوية التي كثيرا ما أكدت عليها الدراسات التربوية المعاصرة تتسع إلى مجالات أخرى ناهيك عن المجال الديني والأدبي الذي عرف به الشيخ لدى العامة، إذ تبرز مواقفه وآراءه في مجال السياسة، التربية وفلسفتها، علم الإجتماع وفي النفس البشرية، فحقيق على الباحث الجزائري استقصاء آثار وأفكار الشيخ الإبراهيمي أكثر، للإستفادة منها وحتى لا نبخس علماءنا ومفكرينا حقهم.

7. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- إبراهيم بيومي مدكور، المعجم الفلسفي، دط، صادر عن مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع، 1979.
- إبراهيم ناصر، مقدمة في التربية، دار عمان للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2002.
- أحمد علي الحاج، أصول التربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013.
- بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، الجزائر، ط2، 1983.
- تركي رابح عمامرة، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931-1956) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والاشهار، الجزائر، ط5، 2001.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- جيلاني ضيف، بناة المجد- محمد البشير الإبراهيمي، دار الخليل العلمية، الجلفة،2013.
- دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ت عبد الله الراجحي وعلي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، 1994.
- روني أوبير، التربية العامة، ت عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، 1983.
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007.
- عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1931-1954، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2009.
- عبد الله قلي، فضيلة حناش، التربية العامة – سند للتكوين المتخصص، المعهد الوطني لمستخدمي التربية وتحسين مستواهم، وزارة التربية، الجزائر، 2009.
- عبد المالك مرتاض، الموسوعة التاريخية للشباب محمد البشير الإبراهيمي1889-1965، منشورات وزارة الثقافة والسياحة،مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1984
- عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، 1971.
- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الأجزاء (1-2-3-4-5)، جمع وتقديم -أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.
- محمد البشير الإبراهيمي، تقرير الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي عن الأمية، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- محمد عزت عبد الموجود، أساسيات المنهج وتطبيقاته، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981.

– محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جوهر القاموس، تحقيق علي هلالي، ج2، ، مطبعة حكومة الكويت، ط2، س1408هـ- 1987م

– مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للنشر والتوزيع، الكويت، ،ط4، س1998.

– ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001.

المقالات:

– شكري فيصل، قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، الشيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، 2012. (إعادة طبع لمجلة الثقافة "عدد خاص بالإبراهيمي" العدد87،شعبان-رمضان، 1405هـ، ماي-جوان، 1985)

– عبد القادر بوعرفة، الشيخ البشير الإبراهيمي بين مطلب التنوير وحلم التثوير، العلامة محمد البشير الإبراهيمي وآفاق الحداثة، – سؤال التنوير– إشراف وتقديم محمد الصادق بولام، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، 2016.

– علي زيكي، فلسفة التعليم عند الشيخ البشير الإبراهيمي، البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، 2012.(إعادة طبع لمجلة الثقافة "عدد خاص بالإبراهيمي" العدد87،شعبان-رمضان، 1405هـ، ماي-جوان، 1985 في شكل كتاب بالعنوان السابق ذكره)، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2012.

– محمد بو عبد الله، النزعة النقدية عند الإبراهيمي، العلامة محمد البشير الإبراهيمي وآفاق الحداثة– سؤال التنوير– إشراف وتقديم محمد الصادق بولام، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، 2016.

المداخلات:

– يوسف القرضاوي، مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، 13و14 ربيع الثاني1426هـ الموافق ل 22و23 ماي2005م، الجزائر، قصر الثقافة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، س 1427هـ- 2006م.

المجلات:

– عبد القادر فضيل، التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي،(عدد خاص بالشيخ الإبراهيمي)، ع2، نوفمبر 2010، دار الوعي، الجزائر.

– عبد الله بن صفية، الفكر التربوي و سؤال المرجع عند محمد البشير الإبراهيمي، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية – العام الخامس، ع 40، لبنان، أفريل 2018.

– ولهة حسين، نحو فهم للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي، مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ع15، الجزائر، 2012.

الأطروحات:

– بيبي مرزاق، الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد البشير الإبراهيمي دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه دولة في علوم التربية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، جامعة الجزائر، 2006-2007.

– محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الفكر الإسلامي الحديث، معهد الدعوة وأصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، 1995/1994.